الشرك الأصغر والخفي

أخوف ما خاف النبي ﷺ

(على أمته)

أحكامه - أمثلته - علاجه

جمع وإعداد

مسند القحطاني

الداعية بفرع وزارة الشؤون الإسلامية بالمنطقة الشرقية

دار القاسم
للنشر والتوزيع
الرياض: ١١٤٤٢ ـ ص.ب.: ٦٣٧٣
هاتف: ٤٠٩٢٠٠٠ ـ فاكس: ٤٠٣٣١٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

ح مسند محسن القحطاني، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القحطاني، مسند محسن

الشرك الأصغر والخفي أخوف ما خاف النبي ﷺ

أحكامه - أمثلته - علاجه/ مسند محسن القحطاني - الدمام؛ ١٤٣٢هـ

١٧٦ص، ١٧×٢٤سم

ردمك: ٦ - ٦٧٦٢ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١ - الشرك بالله. ٢- التوحيد. أ- العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٣٢/٨٦٨

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٨٦٨

ردمك: ٦ - ٦٧٦٢ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ/٢٠١١م

المكتب الرئيس: هاتف: ٤٠٩٢٠٠٠ - فاكس: ٤٠٣٣١٥٠

فروع دار القاسم

السويدي، هاتف ٤٢٤٣٥٥٥ - فاكس: ٢٦٧٦٧٠٩

جدة، هاتف: ٦٠٢٠٠٠٠ - فاكس: ٦٣٣٣١٩١

بريدة، هاتف: ٣٢٦٢٨٨٨ - فاكس: ٣٦٩٢٨٨٨

الدمام، هاتف: ٨٤٣١٠٠٠ - فاكس: ٨٤١٣٠١١

خميس مشيط، هاتف: ٢٢٢٢٢٦١ - فاكس: ٢٢٢٣٠٥٠

موقعنا على الإنترنت: WWW.dar-alqassem.com

البريد الإلكتروني: Sales@dar-alqassem.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران١٠٢]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فهذا كتاب في موضوع الشرك الأصغر والخفي، أحكامه وأمثلته وعلاجه، وقد دفعني للكتابة في هذا الموضوع عدة أسباب منها:

١- أن الشرك بالله تعالى هو أعظم ذنب عصي به الله تعالى كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وهو الذنب الذي لا يغفره الله، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨] انظر حكم الشرك الأصغر من هذه الرسالة.

٢- أن هذا الموضوع من موضوعات العقيدة، وبالتالي فهو موضوع مهم يحتاج إلى عناية فائقة ودراسة وافية.

٣- أن هذا الموضوع أي الشرك الأصغر والخفي قد جاءت فيه الآيات والأحاديث الصحيحة التي تبين خطورته وشدة وعيده لمن وقع فيه، إلى درجة

خوف النبي ﷺ على صحابته منه وهم أكمل الأمة إيماناً ـ ﷺ جميعاً، كما قال ﷺ في الحديث: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فسئل عنه فقال: الرياء**»[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ الشرك الخفي: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل**»[٢]. رواه ابن ماجه.

وقد كنت أتساءل: ما الذي جعل النبي ﷺ يحذر أمته من هذا الشرك بهذا الأسلوب القوي: «**أخوف ما أخاف عليكم؟ أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**» مع أنه شرك أصغر وليس أكبر.

وما ذاك إلا: لعظم خطورته، وقوة الداعي له، وشدة تعلق النفوس به، وشدة خفائه، وكثرة تساهل الناس به، ووقوعهم فيه وعدم معرفة أحكامه، بخلاف الشرك الأكبر الذي تنفر منه قلوب المؤمنين الكاملين[٣].

٤- أن هذا النوع من الشرك يقع فيه كثير من الناس، ولا يكاد يسلم منه أحد إلا من سلمه الله، لاسيما الشرك الخفي، فإنه داء الصالحين قبل غيرهم.

٥- أن الشرك الأصغر قد يصل بصاحبه إلى الشرك الأكبر بحسب مقصده وما يقوم بقلبه.

٦- أن هذا النوع من الشرك مع خطورته، لم يلق العناية الكاملة من الباحثين والمصنفين حيث أن المؤلفات المستقلة التي تبحث الشرك الأصغر والخفي وأحكامه وأمثلته قليلة جداً، مع أن هذا الموضوع موجود في بطون كتب العقيدة والسلوك والإيمان.

---

(١) رواه الإمام أحمد وصححه الألباني رحمه الله، صحيح الجامع (١٥٥٥).

(٢) انظر صحيح الجامع للألباني رحمه الله (٢٦٠٧).

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد، (ص ١١٨).

ولذلك فقد أكثرت من النقل عن العلماء المعاصرين رغبة في ضبط بعض الأحكام وتحريرها، خاصة ما يتعلق بحكم الشرك الأصغر، وأنواع الشرك الخفي.

٧- أن الشرك الخفي لم يلق العناية الكافية من الباحثين والمؤلفين، فمعظم من تكلم أو كتب فيه يقصرون كلامهم على الرياء والسمعة، مع أن للشرك الخفي أنواعاً وأمثلة أخرى كما سترى في هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

وختامًا: فلا يزال هذا الموضوع بحاجة إلى بحث وتحرير واستقصاء لجميع أمثلته وخاصة منها المعاصرة، وبيان حكمها وما هذه الرسالة إلا دعوة لبذل المزيد وشحذ الهمم للعناية بهذا الموضوع لاسيما الشرك الخفي، وهذا هو الذي دفعني للكتابة في هذا الموضوع، وإلا فلست أهلاً لذلك، وقد حاولت أن تكون الكتابة في هذا الموضوع بطريقة وعظية تربوية لأن العقيدة والتوحيد سلوك وحياة كما قال تعالى: ﴿هَذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

أسأل المولى تبارك وتعالى أن ينفع بهذا الجهد كاتبه وقارئه وكل من أسهم وساعد في إخراجه وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجزي علمائنا ومشايخنا خير الجزاء.

والحمد لله أولاً وآخرًا

كتبه/ مسند القحطاني

Mesned٩٠٠@hotmail.com

تمهيد

التحذير من الشرك بعامة وبيان عواقبه

الشرك مصدر مشتق من أشرك يشرك إشراكاً، فهو مشرك وشريك، واشترك الأمر أي: التبس والشَّرَك: حبائل الصائد.

وأشرك بالله: أي جعل له شريكاً. ومنه الشراكة وهي انضمام أكثر من شخص للقيام بعمل معين، فهو دليل ضعف ونقص في الكل، إذ لو كان لدى أحدهم من القوة المادية أو المعنوية ما يستقل به عن غيره لما انضم إليه[١].

قال العلماء: أصل الشرك وحقيقته: اتخاذ الند مع الله تعالى في ربوبيته وألوهيته، والشرك في توحيد الألوهية هو الغالب وفيه الخصومة بين جميع الرسل وأممها.

ومعنى الشرك: اتخاذ غير الله مع الله إلهاً معبوداً مطاعاً.

وهذا هو المتبادر من كلمة شرك إذا أطلق في القرآن والسنة وكلام السلف.

فمن صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالى فقد وقع في الشرك[٢].

والشرك هو أعظم الذنوب وأكبر الكبائر وأشنع القبائح وما من ذنب إلا والشرك أعظم منه. وقد كان الصحابة ﷺ يستدلون على الشرك الأصغر بما أنزله الله في الشرك الأكبر، لشمول الآيات له ولدخوله في مسمى الشرك، كما ثبت ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وحذيفة ﷺ، كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ للهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦][٣]

---

(١) لسان العرب والمفردات للراغب، أهمية التوحيد وخطر الشرك، للدكتور: زكريا المصري (١٠٧).

(٢) انظر المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، للدكتور/ إبراهيم البريكان رحمه الله (١٤٧).

(٣) انظر تفسير ابن كثير والطبري والقرطبي رحمهم الله عند تلك الآيات، فتح المجيد (١٢٨).

وقد جاءت آيات كثيرة في كتاب الله تعالى تحذر من الشرك وتبين خطورته ومآل المشركين وعاقبتهم، فمن تلك الآيات الكريمات:

۞ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]. قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: (أخبر تعالى أنه لا يغفر أن يشرك به، أي لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به).

۞ وقال في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: (فتبين بهذه الآية أن الشرك أعظم الذنوب، لأن الله تعالى أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه، وما دونه من الذنوب فهو داخل تحت المشيئة إن شاء غفره لمن لقيه به وإن شاء عذبه به، وذلك يوجب للعبد شدة الخوف من الشرك الذي هذا شأنه عند الله لأنه أقبح القبيح وأظلم الظلم وتنقيص لرب العالمين وصرف خالص حقه لغيره، وعدل غيره به...)[1].

۞ وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسيره، حول هذه الآية: (فإن المشرك قد سد على نفسه أبواب المغفرة وأغلق دونه أبواب الرحمة فلا تنفعه الطاعات من دون التوحيد ولا تفيده المصائب شيئًا وما لهم يوم القيامة من شافعين ولا صديق حميم).

ومن الآيات التي تبين خطورة الشرك وتحذر من عواقبه:

۞ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

۞ وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

۞ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

۞ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ

(١) فتح المجيد، باب الخوف من الشرك (٧٧).

لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

۞ وقال الله تعالى عن الخليل عليه السلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]. قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله حول هذه الآية: (هذا فيه خطورة الشرك لأن سيد الأنبياء بعد نبينا كان يخاف من الشرك فوجب التأسي بهم وأن نكون أولى بالخوف منهم)[١].

وقال الشيخ حافظ بن أحمد حكمي، رحمه الله، بعد أن ذكر بعض هذه الآيات المتقدمة: (فالشرك أعظم ذنب عصي الله به، ولهذا أخبرنا سبحانه أنه لا يغفره وأنه لا أضل من فاعله وأنه مخلد في النار أبداً لا نصير له ولا حميم ولا شفيع يطاع، وأنه لو قام لله تعالى قيام السارية ليلاً ونهاراً ثم أشرك مع الله تعالى غيره لحظة من اللحظات ومات على ذلك فقد حبط عمله كله بتلك اللحظة التي أشرك فيها ولو كان نبياً رسولاً، ولو كان محمداً ﷺ، وهذا من تقدير وقوع المحال وهو كثير في اللغة العربية)[٢].

والآيات في بيان خطر الشرك والتحذير منه كثيرة ونكتفي منها بما تقدم.

* وأما الأحاديث التي تحذر من الشرك وتبين خطورته وعواقبه الوخيمة، فهي كثيرة أيضاً فمنها:

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**» الحديث متفق عليه.

* وعن أبي سعيد بن أبي فضاله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا جمع الأولين والآخرين ليوم القيامة ليوم لا ريب فيه ناد مناد: من كان أشرك في عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عنده، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك**» رواه

(١) التعليق المفيد على كتاب التوحيد، ص: ٤٧.
(٢) معارج القبول، ٢/ ٤٧٦.

الترمذي وابن حبان في صحيحه[١].

* وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قلنا بلى يا رسول الله: قال: الشرك الخفي، أن يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل**» رواه الإمام أحمد وابن ماجه[٢].

* وعن محمود بن لبيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا وما الشرك الأصغر؟ قال الرياء، يقول الله يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم، إذهبوا إلى الذين كنتم تراوؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءاً**» رواه الإمام أحمد[٣].

* وعن أبي بكرة عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً، الإشراك بالله، وعقوق الوالدين وشهادة الزور أو قول الزور...**» الحديث. رواه مسلم.

* وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله ما الموجبتان؟ قال: «**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار**» متفق عليه.

* وفي الحديث القدسي: «**قال تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**» رواه مسلم.

* وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه، رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال:**

(١) صحيح الترغيب والترهيب للألباني رحمه الله، رقم: ٣٣.
(٢) صحيح الجامع للألباني رحمه الله، رقم: ٢٦٠٧.
(٣) صحيح الجامع للألباني رحمه الله، رقم: ١٥٥٥.

جرئ فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما فعلت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار» رواه مسلم.

وفي رواية للترمذي[١] وابن حبان وابن خزيمة: أن أبا هريرة ﷺ عندما أراد أن يحدث بهذا الحديث نشغ[٢] نشغة ثم مكث قليلاً ثم أفاق. ثم أراد أن يتكلم فنشغ نشغة أخرى ثم أفاق ومسح عن وجهه، ثم أراد أن يتكلم فنشغ نشغة أخرى ثم أفاق ومسح عن وجهه، فأراد أن يتكلم للمرة الرابعة فنشغ نشغة شديدة ثم مال خاراً على وجهه حتى أسند طويلاً ثم أفاق، فقال... الحديث.

ولما بلغ معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهما هذا الحديث، قال: قد فعل بهؤلاء هذا فكيف بمن بقي من الناس، ثم بكى ﷺ بكاءًا شديدًا حتى ظنوا أنه هالك، ثم أفاق ومسح وجهه وقال: صدق الله ورسوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

قلت: فما أعظم ما قدم هؤلاء الثلاثة الوارد ذكرهم في الحديث السابق،

(١) سنن الترمذي (٢٣٨٢).
(٢) نشغ أي: شهق وغشي عليه.

الذين هم من عصاة الموحدين كما قال العلماء، من تضحيات جسيمة وهي النفس والوقت والمال ولكنها لم تشفع لهم لأنها لم تكن خالصة لوجه الله تعالى وحصل فيها من الشرك بالله ما حصل، نعوذ بالله من الخذلان.

* وعن أبي الدرداء ﷺ قال: أوصاني خليلي ﷺ أن «**لا تشرك بالله شيئاً وإن قطعت أو حرقت، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمداً فمن تركها متعمداً فقد برئت منه الذمة، ولا تشرب الخمر، فإنها مفتاح كل شر**»[(١)]. رواه ابن ماجه والبيهقي.

* وعن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «**بشر هذه الأمة بالسناء[(٢)] والدين والرفعة والنصر، والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا، لم يكن له في الآخرة من نصيب**»[(٣)] رواه الإمام أحمد وغيره.

والأحاديث في هذا الموضوع كثيرة جداً، وسيأتي إن شاء الله كثير من الأحاديث عند استعراض أنواع الشرك الأصغر وأمثلته.

قال ابن القيم رحمه الله: (وأما الشرك في العبادة فهو أسهل من هذا الشرك وأخف أمراً فإنه يصدر ممن يعتقد أنه لا إله إلا الله، وأنه لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع إلا الله، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه، ولكن لا يخص الله في معاملته وعبوديته، بل يعمل لحظ نفسه تارة، ولطلب الدنيا تارة ولطلب الرفعة تارة والجاه عند الخلق تارة، فلله من عمله وسعيه نصيب ولنفسه وحظه وهواه نصيب، وللشيطان نصيب، وللخلق نصيب، وهذا حال أكثر الناس).

إلى أن قال رحمه الله: (وهذا غاية الجهل والظلم، فكيف يسوى التراب برب الأرباب؟ وكيف يسوى العبيد بمالك الرقاب؟ وكيف يسوى الفقير بالذات،

---

(١) صحيح الجامع، للألباني رحمه الله، رقم: ٧٣٣٩.

(٢) السناء: ارتفاع المنزلة والقدر.

(٣) المصدر السابق، رقم: ٢٨٢٥.

والضعيف بالذات، والعاجز بالذات، المحتاج بالذات، الذي ليس له من ذاته إلا العدم، الغني بالذات، القادر بالذات، الذي غناه وقدرته وملكه، وجوده وإحسانه، وعلمه، ورحمته وكماله المطلق التام من لوازم ذاته؟ فأي ظلم أقبح من هذا؟ وأي حكم أشد جوراً منه؟ حيث عدل من لا عدل له بخلقه...)[١].

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: (فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة[٢].

۞ وعلى كل حال يجب أن نعلم أن المعاصي بريد الشرك كما قال العلماء، وكل معصية نقص في الإيمان والتوحيد وعلى من أراد أن يصفو له توحيده ويسلم من الشرك بجميع أشكاله وأنواعه أن يحذر من المعاصي صغيرها وكبيرها ولا يتهاون بها.

۞ قال ابن القيم رحمه الله: (ولا يمكن مدمن الكبيرة والمصر على الصغيرة أن يصفو له التوحيد حتى لا يشرك بالله شيئاً، هذا من أعظم المحال وأعلم أن الإصرار على المعصية يوجب من خوف القلب من غير الله ورجائه لغير الله وحبه لغير الله وذله لغير الله وتوكله على غير الله، ما يصير به منغمسًا في بحار الشرك)[٣].

اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئًا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه.

---

(١) الداء والدواء، فصل: ٦٩، ص: ٢٠١.

(٢) رسالة القواعد الأربع.

(٣) مدارج السالكين، ١/ ٢٣٦. بتصرف يسير.

أنواع الشرك

يقسم معظم العلماء الشرك إلى نوعين: شرك أكبر وشرك أصغر، ومنهم من يقسمه إلى نوعين: شرك ظاهر وشرك خفي، ويقسم الظاهر إلى نوعين: أكبر وأصغر، ويقسم الخفي إلى نوعين: أكبر وأصغر.

ومنهم من يقسمه إلى: شرك أكبر جلي وشرك أصغر خفي.

ومن العلماء من يقسم الشرك إلى أكبر وأصغر وخفي، وهؤلاء إنما أرادوا إظهار خطورة الشرك الخفي لأن منه ما هو من الشرك الأكبر المخرج من الملة، ومنه ما هو من الشرك الأصغر الذي لا يخرج من الملة[1].

وحيث أن موضوع هذه الرسالة هو الشرك الأصغر الظاهر والخفي، فإني أذكر تعريفاً مختصراً للشرك الأكبر ثم أتوسع في تعريف وأمثله الشرك الأصغر والخفي.

(١) انظر التمهيد لشرح كتاب التوحيد، ٤٠٠، المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ص: ١٤٨، ومدراج السالكين ١/ ٣٥٢، والقول المفيد ١/ ٢٠٧، مجموع فتاوى ابن باز ٣/ ٢٨٩، والقول السديد، باب الخوف من الشرك.

أولاً: الشرك الأكبر

الشرك الأكبر: هو أن يتخذ شريكاً أو نداً مع الله تعالى في ذاته أو في أسمائه وصفاته أو أن يعدل بالله تعالى أحداً من خلقه في بعض ما يستحقه وحده سبحانه.

وهو بمعنى آخر: أن يجعل الإنسان لله نداً أو شريكاً في ربوبيته أو إلوهيته أو أسمائه وصفاته.

والشرك الأكبر هو كل شرك جاء معرفاً بأل[١].

ويقصد العلماء رحمهم الله، بقولهم أكبر، أي أنه مخرج من الملة ويخلد صاحبه في النار إذا مات ولم يتب منه.

والشرك الأكبر هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله - كدعاء غير الله والتقرب بالذبائح والنذور لغير الله، من القبور والجن والشياطين، والخوف من الموتى أو الجن أو الشياطين أن يضروه أو يمرضوه - ورجاء ودعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحاجات وتفريج الكربات)[٢].

والشرك الأكبر ثلاثة أنواع[٣]:

النوع الأول:

أن يجعل الإنسان لله نداً في أسمائه وصفاته، فيسميه بأسماء الله ويصفه بصفاته، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ

(١) انظر فتاوى ابن تيميه ١/ ٩٣، ومدراج السالكين لأبن القيم ١/ ٣٤٨، ومعارج القبول لحافظ حكمي ٢/ ٤٨٣.

(٢) انظر كتاب التوحيد، للفوزان، ص: ١١.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة، المجلد الأول، ص: ٧٤٦.

فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ومن الإلحاد في أسمائه تسمية غيره باسمه المختص به أو وصفه كذلك.

النوع الثاني:

أن يجعل لله نداً في العبادة بأن يضرع إلى غيره تعالى من شمس أو قمر أو نبي أو ملك أو ولي مثلاً بقربة من القرب صلاة أو استغاثة به في شدة أو مكروه أو استعانة به في جلب مصلحة أو دعاء ميت أو غائب لتفريج كربه أو تحقيق مطلوب أو نحو ذلك مما هو من اختصاص الله.

النوع الثالث:

أن يجعل لله نداً في التشريع، بأن يتخذ مشرعاً له سوى الله أو شريكاً لله في التشريع يرتضى حكمه ويدين به في التحليل والتحريم عبادة وتقرباً وقضاءاً وفصلاً في الخصومات، أو يستحله وإن لم يره دينا، وفي هذا يقول الله تعالى في اليهود والنصارى ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وأمثال هذا من الآيات والأحاديث التي جاءت في الرضا بحكم سوى حكم الله أو الإعراض عن التحاكم إلى حكم الله والعدول عنه إلى التحاكم إلى قوانين وضعية أو عادات قبلية أو نحو ذلك.

فهذه الأنواع الثلاثة هي الشرك الأكبر الذي يرتد به فاعله أو معتقده عن ملة الإسلام).

ثانياً: الشرك الأصغر

لقد عرف بعض العلماء الشرك الأصغر، ووضعوا له دلالات وضوابط تميزه عن الشرك الأكبر، وتكون له ميزاناً واضحاً بإذن الله تعالى في حين أن البعض الآخر اكتفى بذكر الأمثلة دون ذكر تعريف محدد[١].

فمن هذه الدلالات والضوابط في تعريف الشرك الأصغر:

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الشرك الأصغر أن يأتي منكراً غير معرف، فإن جاء معرفاً بـ (ال) دل على أن المقصود به الشرك المخرج من الملة)[٢].

* وقال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله: (ما أتى في النصوص إنه شرك ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر)[٣].

* وجاء في جواب اللجنة الدائمة للإفتاء: (أما الشرك الأصغر: فكل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه وجاء في النصوص تسميته شركاً كالحلف بغير الله، فإنه مظنة للانحدار إلى الشرك الأكبر)[٤].

* وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: (كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة)[٥].

---

(١) كما فعل ابن القيم رحمه الله في مدراج السالكين، ١/ ٣٥٢، والعلماء المتقدمون لم يتوسعوا في تعريف الشرك الأصغر وضوابطه كما فعل المتأخرون.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٠٨.

(٣) حاشية كتاب التوحيد ص: ٥٠.

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٧٤٨.

(٥) القول السديد في مقاصد التوحيد، المجموعة الكاملة، المجلد الثالث، ص: ٦٥.

* وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: (أما الشرك الأصغر فهو ما ثبت بالنصوص من الكتاب أو السنة تسميته شركاً، ولكنه ليس من جنس الشرك الأكبر، كالرياء في بعض الأعمال، والحلف بغير الله أو قول ما شاء الله وشاء فلان ونحو ذلك، وهذا النوع لا يوجب الردة، ولا يوجب الخلود في النار، ولكنه ينافي كمال التوحيد الواجب)[1].

* وقال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله: (والشرك الأصغر ما دون ذلك، لكن كلمة ما دون ذلك ليس ميزاناً واضحاً، ولذلك اختلف العلماء في ضابط الشرك الأصغر على قولين:

القول الأول:

أن الشرك الأصغر: كل شيء أطلق الشارع عليه أنه شرك، ودلت النصوص على أنه ليس من الأكبر مثل (من حلف بغير الله فقد أشرك) نقول: الشرك هنا أصغر لأنه دلت النصوص على أنه مجرد الحلف بغير الله لا يخرج من الملة.

القول الثاني:

أن الشرك الأصغر: ما كان وسيلة للأكبر، وإن لم يطلق الشرع عليه اسم الشرك. مثل: أن يعتمد الإنسان على شيء كاعتماده على الله لكنه لم يتخذه إلهاً، فنقول: هذا شرك أصغر، لأن هذا الاعتماد الذي يكون كاعتماده على الله يؤدي به في النهاية إلى الشرك الأكبر.

وهذا التعريف أوسع من الأول، لأن الأول يمنع أن تطلق على شيء أنه شرك إلا إذا كان لديك دليل، والثاني يجعل كل ما كان وسيلة للشرك فهو شرك، وربما نقول على هذا التعريف إن المعاصي كلها شرك أصغر لأن الحامل عليها الهوى، وقد قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ﴾

(١) مجموع فتاوى ابن باز: (٣/ ٢٩٠).

[الجاثية: ٢٣]، ولهذا أطلق النبي ﷺ الشرك على تارك الصلاة مع أنه لم يشرك فقال: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»[(١)].

* ومن الدلالات أيضاً على الشرك الأصغر ما يلي:

١ـ صريح النص عليه، كقوله ﷺ: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: «**الرياء**» رواه أحمد.

٢ـ ما فهمه الصحابة من النص، فالصحابة أعلم الأمة بمعاني نصوص الكتاب والسنة، ومثاله حديث: «**الطيرة شرك، وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل**» رواه أحمد والترمذي.

فإن آخر الحديث على الصحيح، هو قول ابن مسعود ﷺ، ومعناه: وما منا إلا ويقع له شيء من التطير.

ومن ذلك حديث رسول الله ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» رواه الترمذي وحسنه.

فقد فسره ابن عباس ﷺ، أن الحلف بغير الله من الشرك الخفي.

فقد قال ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي.

٣ ـ ومن هذه الدلالات: أن يفسر الرسول ﷺ، هذا الشرك الذي جاء في نص بما يوضح أن المراد ما دون الشرك الأكبر.

ومن ذلك حديث زيد بن خالد الجهني ﷺ الذي أخرجه الشيخان قال: صلى

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، الجزء الأول، ص: ٢٠٦.

بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء (مطر) كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**».

"فالمراد بهذا الشرك، هو كفر النعمة ضد الشكر، وهو من الكفر الأصغر العملي..."[(١)].

وقال بعض العلماء: الشرك الأصغر هو تسوية غير الله بالله في هيئة العمل، أو أقوال اللسان، فالشرك في هيئة العمل هو: الرياء، والشرك في أقوال اللسان: هو الألفاظ التي فيها معنى التسوية بين الله وغيره، كقوله ما شاء الله وشئت[(٢)].

وسيأتي إن شاء الله مزيد إيضاح للشرك الأصغر بنوعيه الظاهر والخفي عندما نتحدث عن أقسامه وأنواعه وأمثلته.

(١) انظر الدلالات السابقة، رسالة الإخلاص والشرك الأصغر، لعبد العزيز العبد اللطيف. ص: ٣٠ ـ ٣٣.
(٢) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، للدكتور/ إبراهيم البريكان (رحمه الله). ص: ١٤٨.

الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر
ومتى يكون الأصغر أكبر

لقد اتضح معنا من خلال التعريفات الماضية للشرك بنوعيه الأصغر والأكبر، أن هناك فروقاً واضحة بينهما، مع أنهما أكبر الكبائر وصاحبهما مستحق للوعيد، وقد جمع هذه الفروق بعض العلماء فمنها[1]:

١ـ أن الشرك الأكبر يخرج من الملة وصاحبه مرتد عن دين الإسلام. والشرك الأصغر لا يخرج من الملة.

٢ـ الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار، وتحرم عليه الجنة، والشرك الأصغر بخلاف ذلك، فلا يخلد صاحبه في النار، إن دخلها.

٣ـ الشرك الأكبر يُحبط جميع الأعمال.

بينما الشرك الأصغر لا يحبط جميع الأعمال، وإنما يحبط العمل الذي خالطه أو ينقص أجره كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

٤ـ الشرك الأكبر يبيح الدم والمال.

والشرك الأصغر لا يبيحهما.

٥ـ الشرك الأكبر لا يغفر إلا بالتوبة.

وأما الشرك الأصغر فمحل خلاف بين العلماء: ـ

هل هو كالأكبر لا يغفر إلا بالتوبة أم هو مثل الكبائر تحت المشيئة الإلهية؟ وهذا يقودنا إلى مسألة مهمة وهي:

---

(١) أنظر كتاب التوحيد للفوزان، ص: ١٢، وفتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٥١٨، والمدخل لدراسة العقيدة للدكتور إبراهيم البريكان رحمه الله، ص: ١٢٧ـ ١٢٨.

حكم الشرك الأصغر:

* قال ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره عند: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾ [النساء: ٤٨].

وقد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه عليها ما لم تكن كبيرتهُ شركاً بالله.

* قال شيخ الإسلام ابن تميمة رحمه الله: (إن الشرك لا يغفره الله ولو كان أصغر، لعموم قوله (إن الله لا يغفر أن يشرك به) و"أن يشرك به" مؤول بمصدر تقديره: شركاً به، وهو نكره في سياق النفي فتفيد العموم) انتهى.

* وقال كذلك رحمه الله: (وقد يقال: الشرك لا يغفر منه شيء لا أكبر ولا أصغر، على مقتضى القرآن وإن كان صاحب الشرك "أي الأصغر" يموت مسلماً، لكن شركه لا يغفر له بل يعاقب عليه، وإن دخل بعد ذلك الجنة)[١] انتهى.

* وقال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله: (وشيخ الإسلام ابن تيميه، اختلف كلامه، فمرة قال: الشرك لا يغفره الله ولو كان أصغر، ومرة قال: الذي لا يغفره الله هو الشرك الأكبر)[٢][٣].

* وقال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله: (والأصغر هو ما أتى في النصوص أنه شرك ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر، وحكمه أنه لا يغفر لصاحبه إلا بالتوبة لعموم ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، وأنه يحبط العمل

(١) أنظر الرد علي البكري، ص: ١٤٦، والقول المفيد على كتاب التوحيد، ص ٢٠٧.
(٢) أنظر كتاب تفسير آيات أشكلت على كثير من الناس لأبن تيميه، ص: ٣٦١ـ٣٦٣.
(٣) مجموع الفتاوى، ١/ ٢٠٤، وانظر تيسير العزيز الحميد (٩٧ ـ ٩٨).

الذي قاربه ولا يوجب التخليد في النار ولا ينقل عن الملة ويدخل تحت الموازنة، إن حصل معه حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة وإلا دخل النار...)[1].

* وقال العلامة عبد الرحمن السعدي، رحمه الله: (من لحظ إلى عموم الآية، وأنه لم يخص شركاً دون شرك، أدخل فيها الشرك الأصغر، وقال: إنه لا يغفر، بل لابد أن يعذب صاحبه، لأن من لم يغفر له، لابد أن يعاقب.

ولكن القائلين بهذا لا يحكمون بكفره، ولا بخلوده في النار، وإنما يقولون: يعذب عذاباً بقدر شركه، ثم بعد ذلك مآله إلى الجنة.

وأما من قال: إن الشرك الأصغر، لا يدخل في الشرك المذكور في هذه الآية، وإنما هو تحت المشيئة، فإنهم يحتجون بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

فيقولون: كما أنه بإجماع الأئمة أن الشرك الأصغر لا يدخل في تلك الآية، وكذلك لا يدخل في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، لأن العمل هنا مفرد مضاف، ويشمل الأعمال كلها، ولا يحبط الأعمال الصالحة كلها إلا الشرك الأكبر.

ويؤيد قولهم أن الموازنة واقعة بين الحسنات والسيئات التي هي دون الشرك الأكبر، لأن الشرك الأكبر لا موازنة بينه وبين غيره فإنه لا يبقى معه عمل ينفع) انتهى[2].

* وقال الشيخ عبد العزيز بن باز، رحمه الله، عندما سئل: هل يدخل الشرك الأصغر في قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن

(١) انظر الإخلاص والشرك الأصغر، ص: ٣٨.
(٢) حاشية كتاب التوحيد (٥١).

يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

فأجاب رحمه الله: (الأقرب أنه داخل في الشرك، لأنه شرك لكن لا يخلد به في النار، بل يعذب على قدره إن لم يرجح ميزان حسناته، وإن رجح ميزان حسناته سلم من جميع الشرور)[١].

* وقال الشيخ محمد العثيمين، رحمه الله، ورفع درجته: (اختلف أهل العلم رحمهم الله تعالى في هذه الآية، هل تشمل كل الشرك أم أنها خاصة بالشرك الأكبر؟ فمنهم من قال: تشمل كل شرك ولو كان أصغر كالحلف بغير الله فإن الله لا يغفره. ومنهم من قال: إنها خاصة بالشرك الأكبر فهو الذي لا يغفره الله وشيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله، اختلف كلامه، فمرة قال بالقول الأول ومرة قال بالقول الثاني.

وعلى كل حال يجب الحذر من الشرك مطلقاً لأن العموم يحتمل أن يكون داخلاً فيه الأصغر، لأن قوله: ﴿أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾، (أن) وما بعدها في تأويل مصدر تقديره (إشراكاً به) فهو نكرة في سياق النفي فتفيد العموم)[٢].

* وجاء في جواب اللجنة الدائمة للإفتاء برئاسة الشيخ ابن باز رحمه الله: (والشرك الأصغر لا يخرج من ارتكس فيه من ملة الإسلام، ولكنه أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر ولذا قال عبد الله بن مسعود: «لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً»، وعلى هذا فمن أحكامه أن يعامل معاملة المسلمين فيرثه أهله ويرثهم حسب ما ورد بيانه في الشرع، ويصلى عليه إذا مات ويدفن في مقابر المسلمين وتؤكل ذبيحته.. إلى أمثال ذلك من أحكام الإسلام، ولا يخلد في النار إن دخلها كسائر مرتكبي الكبائر عند أهل السنة والجماعة، خلافاً

(١) شرح بلوغ المرام، كتاب الزكاة، الشريط الأول.
(٢) شرح كشف الشبهات (٤٤)، والقول المفيد (١/ ٢٠٨).

للخوارج والمعتزلة)[١].

* وقال معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، حفظه الله، عندما سألته عن حكم الشرك الأصغر: (الصحيح أنه لا يغفر، ولكن عذابه لا يدوم كالشرك الأكبر)[٢].

* وقال الشيخ عبد الله الجبرين، رحمه الله: (وقد ذكر العلماء أن الشرك قسمان: أصغر وأكبر، وكلاهما لا يغفر إلا بالتوبة، فإذا مات إنسان وهو مصر على الشرك الأكبر فهو مخلد في النار، وإذا مات وهو يفعل الشرك الأصغر، فإنه ولابد سيدخل النار، ولكن يعذب فيها بقدر شركه ما دام معه أصل الإسلام وأصل العقيدة والأعمال، فلا يغفر له شركه لكن لا يصل به الحد إلى الخلود في النار، فإذا وقع في رياء يسير مثلاً أو تطير أو حلف بغير الله، أو ما أشبه ذلك، فهو ذنب لا يغفر فلابد به من دخول النار لتمحيص صاحبه وتطهيره، ثم يخرج بعد التطهير والتمحيص)[٣].

* وقال الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ بعد ذكر أقوال العلماء في هذه المسألة: (ولما كان اختيار إمام الدعوة، كما هو اختيار عدد من المحققين: كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم وغيرهما أن العموم هنا شامل لأنواع الشرك الأكبر والأصغر والخفي، كان الاستدلال بهذه الآية صحيحاً، لأن الشرك أنواع، وإذا كان الشرك بأنواعه لا يُغفر، فهذا يوجب الخوف منه أعظم الخوف، فإذا كان الشرك الأصغر: كالحلف بغير الله، وتعليق

(١) فتاوى اللجنة الدائمة، ١/ ٧٤٩.

(٢) وكان هذا في مدينة الدمام عام ١٤٢٩هـ، وانظر كذلك شرح نواقض الإسلام، للشيخ صالح الفوزان، ص: ٥٠.

(٣) السبك الفريد شرح كتاب التوحيد، ص: ١٢٤.

التميمة، والحلقة، والخيط، ونحو ذلك من أنواع الشرك الأصغر، كقولك: ما شاء الله وشئت، ونسبة النعم إلى غير ذلك، إذا كان ذلك لا يُغفر فإنه يوجب أعظم الخوف كالشرك الأكبر.

وإذا كان كذلك، فيقع في الخوف من الشرك من هم على غير التوحيد، كمن يعبدون غير الله، ويستغيثون بغير الله، ويتوجهون إلى غيره، ويذبحون وينذرون لغيره، ويحبون غير الله محبة العبادة، ويرجون غير الله رجاء العبادة، ويخافون خوف السر من غير الله، إلى غير ذلك من ألوان الشرك، فيكون هؤلاء أولى بالخوف من الشرك ؛ لأنهم وقعوا فيما أُتفق عليه: أنه لا يُغفر. كما يقع في الخوف من الشرك أهل الإسلام الذين قد يقعون في بعض أنواع الشرك الخفي، أو الشرك الأصغر بأنواعه، وهم لا يشعرون، أو وهم لا يحذرون.

فإذا علم العبد المسلم أن الشرك بأنواعه لا يغفر، وأنه مؤاخذ به، وأن الصلاة إلى الصلاة، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان: لا تكفر ذنب الوقوع في الشرك الأصغر، فيجب أن يعظم في قلبه الخوف منه، فإن قيل: فبماذا يُغفر إذاً؟ فالجواب: أنه لا يغفر إلا بالتوبة فقط، فإن لم يتب فثمة الموازنة بين الحسنات والسيئات، ولكن ما ظنكم بسيئة فيها التشريك بالله مع حسنات؟ فمن ينجو من ذلك؟!! لا ريب أنه لا ينجو إلا من عظمت حسناته، فزادت على سيئة ما وقع فيه من أنواع الشرك. ولا شك أن هذا يوجب الخوف الشديد من الشرك بعامة، لأن المرء يكون على خطر عظيم إذا وُزنت حسناته وسيئاته، ثم كان في سيئاته نوع من أنواع الشرك، لأن من المعلوم أن الشرك بأنواعه من حيث الجنس أعظم من كبائر الأعمال المعروفة[1].

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد، ص: ٤٧.

افعل ما شئت إن الله ذو كرم وما عليك فيما أتيت من باس
إلا اثنتين فلا تقربهما أبدا الشرك بالله والإضرار بالناس

متى يكون الشرك الأصغر شركاً أكبر:

لقد مر معنا من خلال التعريفات أن الشرك الأصغر هو كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة إليه، وهذا يبين أن كل أنواع الشرك الأصغر قد تصل بصاحبها إلى الشرك الأكبر بحسب حال فاعلها ومقصده وما يقوم بقلبه.

فمثلاً: الحلف بغير الله تعالى من الشرك الأصغر وقد يكون شركاً أكبر إذا قام بقلب الحالف أن هذا المحلوف به يستحق التعظيم كما يستحقه الله، وكذلك لبس الحلقة والخيط وتعليق التمائم إن اعتقد فاعلها أنها تؤثر بنفسها فهذا شرك أكبر والعياذ بالله[1].

(١) انظر مدراج السالكين، لابن القيم، ١/ ٣٥٢، القول المفيد على كتاب التوحيد، ١/ ١٨٢، وتيسير العزيز الحميد، ص: ٤٥، ومجموع فتاوى ابن باز. ٣/ ١٤٤، روضة الطالبين للنووي، ١١/ ٦.

أقسام الشرك الأصغر

لقد قسم كثير من العلماء الشرك الأصغر إلى قسمين:

١ ـ شرك ظاهر جلي: وهو ما يكون في الأقوال والأفعال.

٢ ـ شرك خفي: وهو ما يكون في الإرادات والنيات أي ما يكون من أعمال القلوب.

وينقسم الشرك الظاهر أي الجلي إلى قسمين:

١ ـ شرك الأقوال والألفاظ.

٢ ـ شرك الأفعال.

تنبيه هام:

لن أتوسع في ذكر الأمثلة على هذا النوع من الشرك لظهوره وجلائه في الغالب، وسأكتفي بذكر بعض الأنواع المشهورة والمنتشرة، لكني سأتوسع في الحديث عن الشرك الخفي لعظم خطورته وشدة خفائه، ولقلة من كتب عنه بالتفصيل وبهذه الطريقة حسب علمي.

أولاً: شرك الأقوال والألفاظ

هناك أقوال وألفاظ في حياتنا،اعتاد كثير الناس على التلفظ بها، مع أنها تعتبر من الشرك الأصغر وذلك لجهل الناس بهذا الحكم، أو لتهاونهم به وكما مر معنا في التعريفات، أن الشرك الأصغر بجميع أنواعه وأشكاله، هو وسائل قد تؤدي في النهاية بصاحبها، إلى الشرك الأكبر، والعياذ بالله، إذا لم يقلع عنها وينمي في قلبه الإخلاص لله تعالى.

*** تنبيه هام:**

أود أن أنبه إخواني الدعاة إلى أن الألفاظ الشركية يجب إنكارها والتنبيه عليها، لكن علينا أن نتلطف مع الناس في ذلك وأن نتدرج معهم كما فعل النبي ﷺ مع أصحابه، فإن النهي عن الشرك في الألفاظ أتى بالتدريج، حيث كان الحلف بالآباء جائزاً، ثم نهاهم عليه الصلاة والسلام عن ذلك، وكذلك قول: ما شاء الله وشئت، ثم نهاهم عن ذلك وقد جاء في حديث الطفيل أخي عائشة لأمها عندما أنكر على اليهود والنصارى قولهم في العزير وعيسى عليهما السلام، فأنكروا على المسلمين قولهم: ما شاء الله وشاء محمد، فلما أخبر النبي ﷺ بذلك، قال عليه الصلاة والسلام: «**إنكم قلتم كلمة كان يمنعنى كذا وكذا، أن أنهاكم عنها فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده**» رواه أحمد وابن ماجه[1].

وقد ذكر العلماء رحمهم الله، قديماً وحديثاً، أمثلة كثيرة من شرك الألفاظ والأقوال والتي في الحقيقة لا يمكن حصرها لأنها تختلف باختلاف الناس وأزمانهم وأماكنهم فمنها:

---

(١) السلسلة الصحيحة، (١٣٧، ١٣٨)، انظر كتاب التمهيد لشرح كتاب التوحيد، ص : ٤٦٥.

١. الحلف بغير الله تعالى:

لقد كثر في الناس اليوم الحلف بغير الله عز وجل، كالحلف بالآباء والأمهات، والأمانة، والحلف بالنبي ﷺ أو بالكعبة، وكقولهم: وحياتي وحياتك أو وحياة فلان، وقولهم: والمعروف الذي بيننا، وغير ذلك من الألفاظ.

قال العلماء: السر في النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف بالشيء تعظيم له، والذي يجب أن يعظم ويحلف به هو الله عز وجل وأسماءه وصفاته، والحلف بغيره شرك وجريمة عظمى، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقاً».

ومن المعلوم أن الحلف بالله كاذباً كبيرة من الكبائر لكن الشرك وهو الحلف بغير الله أكبر من الكبائر وإن كان شركاً أصغر[(١)].

وقد ذكر ابن عبد البر وابن تيمية رحمهم الله، الإجماع على أنه لا يجوز الحلف بغير الله عز وجل في شيء من الأشياء ولا حال من الأحوال وذكروا إجماع الصحابة رضي الله عنهم على ذلك[(٢)].

* وقد جاءت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ تنهى وتحذر من الحلف بغير الله تعالى فمن تلك الأحاديث:

* قوله ﷺ: «**من حلف بالأمانة فليس منا**» رواه أبو داود[(٣)].

* وقوله ﷺ: «**لا تحلفوا بآبائكم**» رواه البخاري ومسلم.

---

(١) فتح الباري ١١/ ٥٣١، بدائع الصنائع للكاساني ٣/ ٨، ونيل الأوطار ٩/ ١٢٤، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للفوزان (٩٩)، وانظر أثر ابن مسعود في صحيح الترغيب والترهيب للألباني رحمه الله (٢٩٥٣).

(٢) التمهيد لابن عبد البر ١٤/ ٣٦٦، مجموع الفتاوى لأبن تيمية (١/ ٢٩٠).

(٣) انظر صحيح الجامع، برقم: ٦٢٠٣.

* وقوله ﷺ: «**من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله**» رواه مسلم.

* وفي سنن الترمذي، عن سعد بن عبيدة: أن ابن عمر سمع رجلاً يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا تحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[1].

ومن خطورة الحلف بغير الله تعالى، قول النبي ﷺ في الحديث: «**من حلف منكم فقال في حلفه: واللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله...**» الحديث. رواه البخاري ومسلم.

وختاماً: «فإن الحلف بغير الله تعالى في حد ذاته من الشرك الأصغر، لكن إن قصد قائله تعظيم غير تعالى كتعظيم الله مثلاً، فهذا شرك أكبر»[2].

*** مسألة: حكم الحلف بالنبي ﷺ؟**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (تنازع الناس هل يحلف بالنبي ﷺ؟ مع اتفاقهم أنه لا يحلف بشيء من المخلوقات المعظمة كالعرش والكرسي والكعبة والملائكة.

فذهب جمهور العلماء كمالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد في أحد قوليه إلى أنه لا يحلف بالنبي ولا تنعقد اليمين كما لا يحلف بشيء من المخلوقات، ولا تجب الكفارة على من حلف بشيء من ذلك وحنث.

وعن أحمد رواية أنه يحلف بالنبي ﷺ خاصة لأنه يجب الإيمان به خصوصاً ويجب ذكره في الشهادتين، فالإيمان به اختصاص لا يشركه فيه غيره.

وقال ابن عقيل: بل هذا بكونه نبياً، وطرد ذلك في سائر الأنبياء.

---

(١) صحيح سنن الترمذي، للألباني رحمه الله، رقم: ١٥٩٠.

(٢) انظر ص: ٢٧.

مع أن الصواب الذي عليه عامة علماء المسلمين سلفهم وخلفهم أنه لا يحلف بمخلوق لا نبي ولا غير نبي ولا ملك من الملائكة ولا ملك من الملوك ولا شيخ من الشيوخ)[١].

٢. قول: (ما شاء الله وشئت)، (لولا الله وأنت)، (مالي إلا الله وأنت)، (أرجو الله وأرجوك:

فهذه الألفاظ والأقوال وما شابهها كلها شرك؛ (لأن العطف بالواو يقتضي التسوية بين المتعاطفين وهذا شرك، فالواجب أن يعطف بـ (ثم) فيقال (ما شاء الله ثم شئت) أو (ثم شاء فلان) (لولا الله ثم أنت) أو (ثم فلان) (مالي إلا الله ثم أنت) (أرجوا الله ثم أرجوك).

ولأن العطف بـ (ثم) يقتضي الترتيب والتعقيب، وأن مشيئة العبد تأتي بعد مشيئة الله تعالى لا مساوية لها)[٢].

وقد جاءت أحاديث صحيحة، تنهى عن مثل هذه الألفاظ والأقوال: منها قول النبي ﷺ: «**لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**» رواه أحمد وأبو داود والنسائي[٣].

(وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت فقال: «**أجعلتني لله نداً، قل ما شاء الله وحده**»[٤] رواه الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما، في قول الله تعالى: ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ

(١) مجموع الفتاوى، ٢٧/ ٣٤٩.
(٢) انظر الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، ص: ١٠٠، والقول المفيد، ٢/ ٢٢٨.
(٣) صحيح الجامع، (٧٤٠٦).
(٤) انظر السلسلة الصحيحة، حديث رقم: ١٣٩.

تَعْلَمُونَ﴾، قال: الأنداد الشرك، أخفى من دبيب النمل على صخرة سوداء في ظلمة الليل وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي، ويقول لولا كلب هذا لأتانا اللصوص البارحة، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت، وقول الرجل لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلاناً، هذا كله به شرك)[1].

وعلى هذا فيكون الأفضل والأكمل أن يقال: ما شاء الله وحده، وإن قيل ما شاء الله ثم فلان فهذا جائز.

٣. قول (لو) في بعض الحالات أو (ليت):

كثيراً ما نسمع من يقول: لو أني فعلت كذا لكان كذا، أو يقول: لو أني لم أفعل كذا لم يكن كذا، أو من يقول: لو أنك سمعت كلامي أو فعلت ما قلت لك لم يحصل كذا وكذا، وغير ذلك من الاستعمالات الكثيرة.

وقول (لو) تخل بالتوكل، وتجعل المسلم يتعلق بالأسباب، ويضعف توحيده ويسئ الظن بربه تعالى كما أن الشيطان يلقي من خلالها في قلب المسلم الحسرة والندم والحزن، ولربما أدى ذلك إلى حصول كثير من الجدال والخصومات.

والتلفظ بكلمة (لو) عند حصول المصائب من سمات المنافقين وضعاف الإيمان الذين لا يؤمنون بالقضاء والقدر ومن اعترض على القدر لم يرضى بالله ربا وبالتالي لم يحقق توحيد الربوبية. فيجب على المؤمن الابتعاد عن التلفظ بهذه الكلمة عندما تصيبه محنة أو مكروه، وأن يعدل إلى الألفاظ الطيبة التي فيها الرضا بما قدر الله والصبر والاحتساب، وهي الألفاظ التي وجه إليها رسول الله ﷺ بقوله فيما رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**المؤمن**

(١) معارج القبول (١/ ٣٧١).

القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان».

فعلى المسلم أن يتوكل على الله تعالى مع بذله للأسباب المشروعة ليجتمع له مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فإن الحرص على ما ينفع عبادة، ولا يتم ذلك إلا بمعونة الله تعالى فوجب الجمع بين الأمرين كما أرشد النبي ﷺ في الحديث السابق والحذر من مداخل الشيطان التي تفسد عليه دينه ودنياه[(١)].

ومن الحالات التي لا يجوز فيها استعمال لو[(٢)]:

١ـ أن تستعمل في الاعتراض على الأحكام الشرعية.

٢ـ أن تستعمل في الاعتراض على القدر كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ يُحْيِـي وَيُمِيتُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

٣ـ أن تستعمل للندم والتحسر والحزن.

٤ـ أن تستعمل في الاحتجاج بالقدر على المعصية، كما قال الله تعالى عن المشركين ﴿لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨].

٥ـ أن تستعمل في تمني الشر، وفعل المحرمات.

٦ـ أن تستعمل لتحدي القدر تكبراً وأنفه واستعظاماً لقدرة الإنسان ومكره،

---

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (٨/ ٧٣)، شفاء العليل لابن القيم (٣٣)، فتح المجيد (٤٧٢) والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (١١٠)، والقول المفيد (٢/ ٣٦٥)، والتعليق المفيد (٢٤٩) والتمهيد (٥٣١).

(٢) انظر شرح مسلم للنووي حديث رقم (٢٦٦٤)، القول المفيد (٢/ ٣٦١)، والتمهيد (٥٣٢).

كقول بعضهم: لو يحصل لي مرض أو مصيبة أو حادث فإني قادر على مواجهته أو الهروب منه أو التحكم فيه.

وأما استعمال (لو) لبيان ما ينبغي كقوله ﷺ: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ولأحللت معكم**» رواه البخاري ومسلم.

وكقولك لو علمت أن فلاناً مريضاً لزرته، أو لتمني فعل الخير، فهذا جائز ولا بأس به.

٤. قول مطرنا بنوء كذا وكذا، وهو الاستسقاء بالنجوم والكواكب:

الأنواء: جمع نوء، وهو النجم، كنجم الثريا ونجم الحوت.

والاستسقاء بالأنواء: أن يطلب من النجم أن ينزل الغيث وينسب الغيث إلى النجم استقلالاً، وهذا شرك أكبر بالإجماع.

أو ينسب المطر والغيث إلى النوء والنجم معتقداً أن الله جعله سبباً في نزول الغيث وهذا شرك أصغر، لأن الله تعالى جعل هذه الأنواء علامات ومواقيت، وليست أسباباً.

* روى البخاري ومسلم عن زيد بن خالد رضي الله عنه، قال: (صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب. وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**».

* وقال ﷺ: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة، وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب**» رواه مسلم.

(فمن نسب إنزال المطر إلى الكواكب أو إلى الظواهر الطبيعية كالانخفاض الجوي أو المناخ على أنها هي الفعالة بنفسها دون الله، فقد كذب وافترى وهذا شرك أكبر، وإن كان يعتقد أن المنزل هو الله ولكن نسبه إلى هذه الأشياء من باب المجاز أو جعلها أسباباً فهذا حرام وشرك أصغر، لأنه نسب النعمة إلى غير الله كالذي يقول مطرنا بنوء كذا وكذا، وما أكثر التساهل في هذا الأمر على ألسنة الفلكيين وبعض الصحفيين أو الإعلاميين، وهذا مناف لكمال التوحيد الذي يوجب على العبد أن ينسب جميع النعم إلى الله وحده، وأن لا ينسب شيئاً إلى النجوم والكواكب، إنما هي علامات وليست أسباباً أصلاً، وكذلك ما يجري في نسبة كثير من النعم والأحداث إلى أسبابها كقولهم: لولا فلان لم يكن كذا، ولولا الطبيب، ولولا الملاح أو السائق لحدث كذا وكذا، وكقولهم لولا الشيخ أو المعلم ما فهمنا هذه المسألة أبداً، وغير ذلك من الألفاظ الشركية التي يتعلق فيها الناس بالأسباب وينسبون ما حصل من جلب رحمة أو دفع نقمة إلى تلك الأسباب، والواجب أن يعلم المؤمن أن كل ما يحصل له إنما هو بقضاء الله وقدره، وأن تلك الأسباب لا تملك نفعاً ولا ضراً، ولا بأس أن يقول المسلم لولا الله ثم فلان كما تقدم معنا وأن يشكر ذلك السبب وأن يكافئه.

وصدق الله القائل: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣][1].

(١) انظر شرح مسلم للنووي حديث رقم (٧١) كتاب الإيمان، فتح الباري (٢/ ٥٢٣)، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (٩٤)، القول المفيد (٢/ ١٨)، والتمهيد (٣٥٢).

٥. الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والنياحة على الميت:

ـ الفخر بالأحساب:

هو أن يقول: أنا فلان بن فلان بن القبيلة الفلانية تكبراً وتعاظماً على الناس، بما لآبائه من مآثر وشجاعة وكرم وغير ذلك، فيرى أن له بذلك مكانة عند الله، وأنه مغفور له.

ـ الطعن في الأنساب:

هو أن ينتقص الناس ويشكك في أنسابهم بغير علم ولا سبب شرعي، ويطعن في آبائهم وقبائلهم ويسخر بهم.

ـ النياحة:

هي ما يكون من الصياح وتمزيق الثياب ونتف الشعر وشق الجيوب ولطم الخدود وغير ذلك مما يفعله بعض المسلمين عند حدوث المصائب، والغالب في النائحة أن تكون من النساء، وقد يفعله الرجال وهو محرم على الرجال والنساء.

* قال ﷺ: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة، وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب**» رواه مسلم.

وفي رواية: «**اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت**».

* وروى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية**».

* فهذه الأحاديث تبين بجلاء حرمة هذه الأعمال وما شابهها وأنها من

الشرك الأصغر، ومن أعمال أهل الجاهلية، وأن من كمال التوحيد أن يرضى المؤمن بقضاء الله وقدره وأن يحبس قلبه ولسانه وجوارحه عن التسخط وعدم الرضى، والتسليم لله تعالى، وأن يحذر المؤمن من الطعن في الأنساب تكبرًا وتعاظماً على الناس واحتقاراً لهم[1].

والحسب والنسب ليسا سبباً للإكرام والرفعة بحد ذاتهما، والله تعالى لم يجعلهما كذلك، بل قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وعلى كل حال، يجب على المسلم أن يحذر كل الحذر من إحياء سنن الجاهلية في الإسلام، فمع كونها أعمال شركية فإن صاحبها أبغض الناس إلى الله تعالى، كما قال ﷺ في الحديث: «**أبغض الرجال إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم ومُطَّلب دم امرئٍ بغير حق ليهريق دمه، ومبتغٍ في الإسلام سنة الجاهلية**» رواه البخاري.

٦. سب الدهر والريح والشتاء والصيف، والأيام والظروف والساعات، ونحو ذلك:

في الصحيحين، عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: «**يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار**».

وفي رواية: «**لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر**».

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به**»[2] رواه الترمذي.

---

(١) انظر فتح الباري (٣/ ١٦٣)، فيض القدير للمناوي (١/ ١٥٠، ٤٦٢)،التعليق المفيد (١٨٢)، القول المفيد (٢/ ١٢٢).

(٢) صحيح الجامع، (٧٣١٥).

* دلت هذه الأحاديث على أن سب هذه المخلوقات فيه مفاسد عظيمة منها:

١ـ أن سب هذه الأشياء متضمن للشرك، فإنه إنما سبها لظنه أنها مؤثرة، وهي في الحقيقة محل وظرف لما قدره الله تعالى.

٢ـ أنه سب ما ليس أهلاً للسب، فإنها مخلوقة مسخرة مدبرة.

٣ـ أن السب يقع على الفاعل الحقيقي وهو الله تعالى.

٤ـ التعود على السب واللعن وما شابه ذلك من آفات اللسان.

فالواجب على المسلم أن يُرجع الأحداث إلى خالقها ويسأله من خيرها ويعوذ به من شرها، ولا يسبها ويفسرها بغير تفسيرها الصحيح، وليعلم أن ما أصابه من هذه الأحداث التي يكره إنما هو بسبب ذنوبه فيلقي باللوم على نفسه، لا على الدهر ولا على الريح، وما شابهها[١].

٧ . قول: اللهم اغفر لي إن شئت:

عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة، فإن الله لا مكره له**» رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية لمسلم: «**وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**».

حقيقة التوحيد أن يوحد العبد ربه جل وعلا بتمام الذل والخضوع وإظهار الافتقار التام لله تعالى، وعدم استغناه عن ربه تعالى طرفة عين، وأن الله تعالى لا مكره له، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، سبحانه وتعالى.

قال ابن عبد البر رحمه الله: (لا يجوز لأحد أن يقول اللهم اعطني إن شئت وغير ذلك من أمور الدين والدنيا)[٢].

---

(١) انظر شرح مسلم للنووي حديث (٢٢٤٦)، فتح الباري (٨/ ٥٧٤)، التعليق المفيد (٢٢٠)، القول المفيد (٢/ ٢٤٠)، والإرشاد للفوزان (١٠٧).

(٢) فتح الباري (١١/ ١٤٠).

وهذه المقالة (اللهم اغفر لي إن شئت):

تظهر أن قائلها مستغن عن الله تعالى، كأنه يقول: إن شئت فافعل، وإن شئت فلا تفعل، فأنا لا يهمني، عياذاً بالله.

ولذلك قال عليه الصلاة والسلام في الحديث المتقدم «**وليعظم الرغبة**»، كما أن هذا القول يشعر أن الله له مكره على الشيء، وأن هناك من يستطيع أن يمنعه، تعالى الله عن ذلك.

وكذلك كأن القائل يرى أن هذا أمر عظيم على الله فقد لا يشاؤه، لكونه عظيماً عنده، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «**فإن الله لا مكره له**».

وقال ﷺ: «**فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**».

وهذه الأقوال، أي استعمال المشيئة في الدعاء، إنما يتأكد منعها في الدعاء المخاطب به الله تعالى أي بين العبد وربه سبحانه.

وأما استعمال المشيئة في الدعاء الذي ليس فيه خطاب مع الله تعالى، كمن يدعو لغيره، مثل: فلان رحمه الله إن شاء الله، أو غفر الله له إن شاء الله.

فإن هذا التعليق ليس تعليقاً لأجل عدم الحاجة، بل هو للتبرك، وقد ذكر بعض أهل العلم أن هذا جائز ولا يدخل في النوع الأول، لأنه ليس على وجه الخطاب مع الله سبحانه، وليس على وجه الاستغناء، ولكن الأدب يقتضي عدم استعمال التعليق بالمشيئة في الدعاء مطلقاً، لأنها داخلة في عموم المعنى المستفاد من النهي عن تعليق الدعاء بالمشيئة وعموم المعنى المستفاد من قوله عليه الصلاة والسلام: «**فإن الله لا مكره له**» وقوله: «**وليعظم الرغبة**»[1].

(١) انظر شرح مسلم للنووي حديث (٢٦٧٨)، التمهيد (٥١٦)، ومجموع فتاوى الشيخ محمد العثيمين (١/ ٩١).

*** علاج هذا النوع من الشرك :**

١ـ التفقه في دين الله تعالى ومعرفة ما لا يجوز من الأقوال والألفاظ والحذر منها فالجهل سبب كل شر.

٢ـ وجوب ترك هذه الألفاظ وما شابهها مهما كان قصد الإنسان ونيته، فالألفاظ الشركية أو التي فيها إشكال أو مشابهه، يجب تركها وصيانة اللسان منها، كما أمر الله تعالى المؤمنين بعدم قول: ﴿رَاعِنَا﴾ مشابهة لليهود مع عظم الفارق بين ما يقصده الصحابة ﷺ وما يقصده أولئك.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُواْ وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤].

وأنكر النبي ﷺ كذلك على صحابته الذين قالوا: اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط، فقال ﷺ: «**الله أكبر، إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة...**» الحديث. رواه الترمذي وصححه[1].

وقال ﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب**» متفق عليه.

٣ـ معرفة ما ورد في فضل الإخلاص وما وعد الله أهله من السعادة والفوز في الدنيا والآخرة.

٤ـ معرفة ما ورد في التحذير من الشرك وبيان عاقبة أهله في الدنيا والآخرة.

٥ـ أن نعلم أن الألفاظ الشركية التي عدها العلماء من الشرك الأصغر قد تصل بصاحبها والعياذ بالله إلى الشرك الأكبر بحسب مقصده وما يقع في قلبه، كما مر معنا.

---

(١) صحيح سنن الترمذي للألباني رحمه الله (١٧٧١).

ثانيا: شرك الأفعال

يقع كثير من الناس في كثير من الأفعال الشركية لجهلهم بحكمها أو لتهاونهم بخطورتها على التوحيد.

وهذه الأفعال التي تعتبر بحد ذاتها من الشرك الأصغر هي كالأقوال المتقدمة في النوع الأول، فإنها قد تصل بصاحبها إلى الشرك الأكبر والعياذ بالله، بحسب اعتقاد فاعلها وما يقوم بقلبه.

وكما قلنا عند ذكر الأقوال، فإن هذه الأفعال الشركية لا يمكن حصرها ولا عدها وهي تختلف باختلاف الناس وأزمنتهم وأماكنهم،فمن هذه الأفعال:

١. لبس الحلقة والخيط وتعليق التمائم وما شابهها:

الحلقة: من حديد أو ذهب أو فضة.

والخيط: معروف.

والتمائم: جمع (تميمة) وسميت تميمة لأنهم يرون أنه يتم بها دفع العين أو رفعها، وهي ما يعلق بالأعناق أو على الصدور من خيوط أو خرزات أو عظام ونحوها، وهذه الأشياء يعلقها الناس لدفع البلاء قبل وقوعه أو لرفعه بعد وقوعه كما يزعمون.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد: (باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه).

* قال الشيخ محمد العثيمين، رحمه الله: (قوله: (من الشرك) من: هنا للتبعيض، أي هذا من الشرك وليس كل الشرك، والشرك اسم جنس يشمل الأصغر والأكبر، ولبس هذه الأشياء قد يكون أصغر، وقد يكون أكبر، بحسب اعتقاد لابسها)[1].

(١) انظر كتاب التوحيد، وشرحه القول المفيد : ١/ ١٦٤.

ويدخل في ذلك ما يعلق في السيارة والبيوت والمتاجر، اعتقاداً أنه يدفع البلاء أو يحل البركة في المكان، كالدراهم الفضية القديمة أو حدوة فرس أو رأس ذئب أو رأس غزال وما شابهها من الأوهام والخرافات والاعتقادات الباطلة، نسأل الله السلامة والعافية.

كما يدخل في ذلك الدبلة (وهي خاتم يشترى عند الزواج، يعتقدون فيه النفع والضر ويقولون: أنه ما دام في يد الزوج فإنه يعني أن العلاقة بينهما ثابتة والعكس بالعكس، فإذا وجدت هذه النية فإنه من الشرك الأصغر، وإن لم توجد هذه النية ففيه تشبه بالكفار، فإنها مأخوذة منهم)[١].

لقد قدمت بهذه النقولات، لما تحويه من تعريفات توضح المقصود بلبس الحلقة والخيط والتمائم وبيان أنواعها التي وقع فيها العامة، والتي إنْ صاحبها اعتقاد أنها مؤثرة بنفسها دون الله تعالى، فهذا شرك أكبر، أما إن اعتقد أصحابها أنها سبب فهي شرك أصغر، لأن من أثبت سبباً لم يجعله الله سبباً شرعياً ولا قدرياً فقد جعل نفسه شريكاً مع الله[٢].

وقد جاءت الأحاديث الصحيحة، الصريحة عن رسول الله ﷺ تبين خطر هذه الأعمال وضلال فاعليها:

فمن هذه الأحاديث:

* عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرقى والتمائم، والتولة شرك**»[٣].

---

(١) انظر القول المفيد: ١/ ١٨١.

(٢) المصدر السابق: ١/ ١٦٤، ومعارج القبول ٢/ ٤٩٧.

(٣) رواه أحمد وأبو داود وغيرهما، صحيح الجامع(١٦٣٢)، تعلق: أي علق شيئاً متعلقاً به قلبه في طلب خير أو دفع شر.

* وقال ﷺ: «**من تعلق شيئاً وكِل إليه**»[١] رواه الإمام أحمد والترمذي.

* وعن عمران بن حصين ﷺ أن النبي ﷺ: رأى رجلاً في يده حلقة من صفر، فقال: «**ما هذه**» قال: من الواهنة، فقال: «**انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً**»[٢] رواه الإمام أحمد وابن حبان والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي.

* وروى البخاري ومسلم عن أبي بشير الأنصاري ﷺ أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً: «**أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت**».

* وعن عقبة بن عامر مرفوعاً: «**من علق تميمة فلا أتم الله له، ومن علق ودعة فلا ودع الله له**»[٣] رواه الإمام أحمد والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي.

قوله: «**فلا ودع الله له**»: أي لا جعله الله في دعة، أي راحة وسكون.

والودع: شيء يخرج من البحر شبه الصدف يتقون به العين.

وفي رواية للإمام أحمد: «**من علق تميمة فقد أشرك**»[٤].

* وعن رويفع قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا رويفع لعل الحياة ستطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلدا وتراً أو استنجى برجيع دابة أو عظم، فإن محمد بريء منه**»[٥] رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

---

(١) صحيح سنن الترمذي، للألباني رحمه الله (٢١٦٧)، التولة : نوع من السحر يزعمون أنه يحبب أحد الزوجين للآخر.

(٢) القول المفيد ٢/ ١٧٠، مع مزيد من تخريجه، والواهنة : عرق يأخذ باليد أو المنكب أو العضد حتى يضعفها ويوهنها.

(٣) السلسلة الضعيفة للألباني رحمه الله (١٢٦٦).

(٤) السلسلة الصحيحة للألباني رحمه الله، رقم ٤٩٢.

(٥) صحيح الجامع : ٧٩١٠.

* وقد رأى حذيفة ﷺ، في يد رجل خيطاً من الحمى فقطعه، وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

* وقال سعيد بن جبير: (من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة)[١].

*** مسألة مهمة:**

هل يجوز تعليق التمائم إذا كانت من القرآن أو السنة؟

اختلف العلماء رحمهم الله في هذا النوع من التمائم فمنهم من أجازها ومنهم من منعها.

فذهب إلى القول بالمنع وعدم الجواز: عبد الله بن مسعود ﷺ، وإبراهيم النخعي والإمام أحمد في رواية واختارها كثير من أصحابه وجزم بها المتأخرون، وغيرهم من العلماء رحمهم الله.

وذهب إلى القول بالجواز: عائشة، وعبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، وسعيد بن المسيب وابن سيرين وعطاء والإمام مالك والإمام أحمد في رواية وابن عبد البر وظاهر قول ابن تيمية وابن القيم وابن حجر وغيرهم من العلماء رحمهم الله تعالى[٢].

* قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: (وإن كانت التمائم من القرآن، فرخص فيه بعضهم، كعبد الله بن عمرو، ومنعه آخرون كعبد الله بن مسعود وهو الصواب، وعليه تدل الأدلة والواجب حسم هذا الباب والقضاء عليه بالكلية

---

(١) انظر هذا الأثر والذي قبله في كتاب التوحيد، للإمام محمد بن عبد الوهاب، باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية(١٩/ ٦٤)، زاد المعاد (٤/ ٣٥٦) وما بعدها، الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/ ٨١)، وفتح البارئ (٦/ ١٤٢)، وفتح المجيد (١٢٨)، وكتاب الرقى والتمائم للدكتور : فهد السحيمي (٢٤٣ـ ٢٤٤).

سداً لذرائع الشرك وعملاً بالأدلة.

ولا ينبغي تعليق التمائم على الأولاد بل يعوذهم كما عوذ النبي ﷺ الحسن والحسين بأدعية التعوذ)[1].

* وقال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله: (إذا كان المعلق من القرآن أو الأدعية المباحة، والأذكار الواردة، فهذه المسألة اختلف فيها السلف رحمهم الله، فمنهم من رخص في ذلك لعموم قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ولم يذكر الوسيلة التي نتوسل بها إلى الاستشفاء بهذا القرآن، فدل على أن كل وسيلة يتوصل بها إلى ذلك فهي جائزة، كما لو كان القرآن دواءاً حسياً.

وقال بعض العلماء: لا يجوز تعليق القرآن للاستشفاء به، لأن الاستشفاء بالقرآن ورد على صفة معينة، وهي القراءة به، بمعنى أنك تقرأ على المريض به، فلا نتجاوزها، فلو جعلنا الاستشفاء بالقرآن على صفة لم ترد، فمعنى ذلك أننا أدخلنا سبباً ليس مشروعاً.

ولولا الشعور النفسي بأن تعليق القرآن سبب للشفاء، لكان انتفاء السببية على هذه الصورة أمراً ظاهراً فإن التعليق، ليس له علاقة بالمرض بخلاف النفث على مكان الألم فإنه يتأثر بذلك، ولذلك الأقرب أن يقال إنه لا ينبغي أن تعلق هذه الآيات للاستشفاء بها، لاسيما وأن هذا المعلق قد يفعل أشياء تنافي قدسية القرآن كالغيبة مثلاً، ودخول بيت الخلاء، وأيضاً إذا علق وشعر أن به شفاء، استغنى به عن القراءة المشروعة، مثلاً: علق آية الكرسي على صدره، وقال: مادام أن آية الكرسي على صدري، فلن أقراها، فيستغني بغير المشروع عن المشروع، وقد يشعر بالاستغناء عن القراءة المشروعة إذا كان القرآن على صدره، وإن كان صبياً فربما بال، ووصلت الرطوبة إلى هذا المعلق، وأيضاً لم

(١) التعليق المفيد، ص : ٧٠.

يرد عن النبي ﷺ والصحابة ﷺ فيه شيء.

فالأقرب أن يقال: إنه لا يفعل، أما أن يصل إلى درجة التحريم، فأنا أتوقف فيه، لكن إذا تضمن محظوراً، فإنه يكون محرماً بسبب ذلك المحظور)[١].

٢. التطير:

التطير والطيرة في الأصل: هي زجر الطير وتنفيره فإذا ذهب يمنة تفاءلوا به وإذا ذهب يسرة تشاءموا به، ثم غلب استعماله في التشاؤم.

(والتطير هو التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ، والبقاع والأشخاص، وغير ذلك، فإذا عزم شخص على أمر من أمور الدين أو الدنيا، فرأى أو سمع ما يكره أثر فيه ذلك أحد أمرين: إما الرجوع عما كان عازماً عليه تطيراً وتأثراً بما سمع، فيعلق قلبه بذلك المكروه، ويؤثر ذلك على إيمانه ويخل بتوحيده وتوكله على الله، وإما أن لا يرجع عما عزم عليه، ولكن يبقى في قلبه أثر ذلك التطير من الحزن والألم والهم والوساوس والضعف مما يُضعف قلبه ويوهن توكله وربما أصابه مكروه فظن أنه من ذلك الأمر فقوي تطيره، وربما تدرج به إلى الأمر الأول وتطير الإنسان وتشاؤمه بشيء رآه أو سمعه شرك أصغر، لكن لو اعتقد هذا المتشائم المتطير أن هذا فاعل بنفسه دون الله فقد أشرك شركاً أكبر لأنه جعل لله شريكاً في الخلق والإيجاد)[٢].

* وقد بين النبي ﷺ أن الطيرة والتشاؤم شرك وذلك في أحاديث كثيرة منها:ـ

* ما ورواه البخاري ومسلم، أن النبي ﷺ قال: «**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر**».

---

(١) القول المفيد، الجزء الأول، ص : ١٨١ ـ ١٨٣.

(٢) انظر الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/ ٣٥٧)،مفتاح دار السعادة لابن القيم(٣/ ٣٣٧)،فتح البارئ (١٠/ ٢١٥) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، (٨٥) والقول السديد، للسعدي، باب الطيره. والقول المفيد ١/ ٥٧٥.

وفي رواية: «**لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل، قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة**».

العدوى: انتقال المرض من المريض إلى الصحيح.

الهامة: نوع من الطيور، وقيل هي طائر البومة وكانوا يتشاءمون به.

صفر: هو شهر صفر وكانوا يتشاءمون به، وقيل داء يصيب البطن.

ومعنى الحديث: أن هذه الأمور لا تعدي ولا تؤثر بطبعها وإنما المؤثر هو الله سبحانه، وهذه أسباب منها ما هو صحيح مؤثر بإذن الله تعالى وبقضائه وقدره، ومنها ما هو اعتقاد باطل ووهم[١].

فائدة: بعض الناس يقول (صفر الخير) رداً على من يتشائم بشهر صفر، وهذا خطأ، فشهر صفر لا يملك خيراً ولا شراً.

* وقال ﷺ: «**الطيرة شرك**»[٢] رواه الإمام أحمد.

* وقال ﷺ: «**من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك**»[٣] رواه الإمام أحمد، وفي رواية: قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول: «**اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك**»[٤].

* وعن عبد الله بن مسعود مرفوعاً وموقوفاً: «**الطيرة شرك، وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل**»[٥] رواه البخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

---

(١) أنظر شرح مسلم للنووي،حديث (٢٢٢٠)، فتح الباري(١٠/ ١٥٨)، فتح المجيد (٣١١)، القول المفيد (١/ ٥٦٤).

(٢) صحيح الجامع، برقم : ٣٩٦٠.

(٣) السلسلة الصحيحة، (١٠٦٥).

(٤) المصدر السابق.

(٥) السلسلة الصحيحة، (٤٢٩).

مسألة: هل التفاؤل من الطيرة الشركية؟

عن أبي هريرة ﷺ قال قال ﷺ: «**لا طيرة وخيرها الفأل الحسن. قالوا وما الفأل الحسن يا رسول الله؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم**» متفق عليه.

* قال ابن القيم رحمه الله: (أخبر ﷺ في حديث أبي هريرة أن الفأل من الطيرة وهو خيرها، فقال لا طيرة وخيرها الفأل، فأبطل الطيرة وأخبر أن الفأل منها ولكنه خيرها، ففصل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد ونفع أحدهما ومضرة الأخر)[١].

* وروي أن النبي ﷺ قال: «**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**»[٢] رواه الإمام أحمد: (١ / ٢١٣).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله: (هذا حد الطيرة المنهي عنها بأنها ما أوجب للإنسان أن يمضي لما يريده ولو من الفأل، فإن الفأل إنما يستحب لما فيه من البشارة والملائمة للنفس.

فأما أن يعتمد عليه ويمضي لأجله مع نسيان التوكل على الله فإن ذلك من الطيرة المنهي عنها، وكذلك إذا رأى أو سمع ما يكره فتشاءم به أو رده عن حاجته فإن ذلك أيضاً من الطيرة)[٣].

وهكذا بين لنا النبي ﷺ ضابط الطيرة الشركية وهو ما يقع في القلب مما يؤدي إلى المضي أو الرجوع كما بين عليه الصلاة والسلام علاج ذلك وأرشد أن المؤمن ينبغي له أن يحسن الظن بالله فيتفائل بالخير ويحذر من التشاؤم والتطير، لأنه سوء ظن بالله تعالى، وينافي الإيمان ويضاد التوكل ويؤدي إلى اضطراب النفس وبلبلة الفكر والفشل في الحياة وتعطيل المصالح لأن المتشائم

---

(١) مفتاح دار السعادة (٣/ ٣٠٨)، وقد ذكر كلاماً مفصلاً في موضوع الطيرة فراجعه.

(٢) انظر الآداب الشرعية لابن مفلح : ٣/ ٣٥٨.

(٣) تيسير العزيز الحميد (٤٤٠)، وانظر القول المفيد : ١/ ٥٨٠، والسبك الفريد: ٢/ ٨٢.

يرى صعوبات في كل فرصة بخلاف المتفائل فإنه يرى فرصة في كل صعوبات.

وقد أخبر النبي ﷺ أن السلامة من التشاءم والتطير من أسباب دخول الجنة بغير حساب، كما في الحديث: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب، هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون**» رواه البخاري ومسلم.

فائدة:

روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إن كان الشؤم في شيء، ففي الدار والمرأة والفرس**».

أشكل هذا الحديث على البعض فظن أنه يثبت التشاؤم في هذه الأشياء الثلاثة وليس الأمر كذلك.

* قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: (قد تكون الدابة غير مباركة، وكذا الدار والمرأة، فلا مانع من طلاقها، وكذا يستبدل الدار والدابة، وهذا مستثنى من الشؤم. والتطير منهي عنه ويلحق بالدابة السيارة، والمراد بالشؤم المضرة والأذى)[1].

* قال الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله: (والحديث يعطي بمفهومه أن لا شؤم في شيء لأن معناه: لو كان الشؤم ثابتاً في شيء ما، لكان في هذه الثلاثة، لكنه ليس ثابتاً في شيء أصلاً، وعليه فما في بعض الروايات بلفظ: «**الشؤم في ثلاثة**»، أو «**إنما الشؤم في ثلاثة**» فهو اختصار وتصرف من بعض الرواة، والله أعلم)[2].

---

(١) التعليقات البازية على صحيح البخاري (٤/ ٣٦).

(٢) السلسلة الصحيحة، حديث رقم (٤٤٢) وانظر تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبه، حديث رقم (١٠)، ولطائف المعارف،لابن رجب (١٥٠)، وشرح مسلم للنووي حديث (٢٢٢٠)، ومفتاح دار السعادة (٣/ ٣١٠).

٣. التعلق بالرقى والأدوية ونحوها من الأسباب:

الرقى: جمع رقية وهي القراءة والعوذة مع النفث على المريض.

لقد أباحت الشريعة الإسلامية التداوي بالأسباب الشرعية التي ثبتت بالدليل الشرعي أو الدليل التجريبي، أنها دواء ولم تشتمل على محرم، وقد تداوى النبي ﷺ وأمر بالتداوي وأجاز الرقى ما لم تكن شركاً، بل رقى نفسه ورقى غيره، ورقاه جبريل عليه السلام.

والمقصود هنا أن يحرص المؤمن مع مباشرته وبذله لمثل هذه الأسباب أن يحقق التوحيد بكمال القنوت لله وقوة التوكل عليه، بحيث لا يلتفت قلبه إلى هذه الأسباب ولا يستشرف إليها مهما قويت أو كثرت فإنها مخلوقة لا تملك نفعاً ولا ضراً.

* قال ﷺ: «**إعرضوا عليّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً**» رواه مسلم.

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب، هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون**» رواه البخاري ومسلم.

وهذا الحديث يدل على أن أهل تحقيق التوحيد قليل وليسوا بكثير، ووصفهم بتمام التوكل لأنهم لا يسألون غيرهم، وليس المقصود في هذا الحديث أن الذين حققوا التوحيد لا يباشرون الأسباب كما فهمه البعض، لأنه لم يرد (ولا يتداوون)، وإنما فيه ذكر لهذه الثلاث بخصوصها لأنه يكثر تعلق القلب والتفاته إليها والافتتان بها[1].

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (١/ ١٨٢، ٣٢٨)، زاد المعاد (٤/ ١٥)، فتح المجيد (٧٤) القول المفيد (١/ ١٠٤)، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٩).

وقد قال العلماء[١]: (الالتفات إلى الأسباب والتعلق بها شرك، وتعطيل الأسباب والإعراض عنها نقص في العقل وقدح في الشرع).

وكل من جعل ما ليس بسبب سبباً مع أن الله لم يجعله كذلك، فقد وقع في الشرك الأصغر، فإن اعتقد أن هذا السبب والشيء مستقل بالتأثير بدون مشيئة الله تعالى فقد وقع في الشرك الأكبر والعياذ بالله.

والرقية الشرعية لابد أن تتوفر فيها ثلاثة شروط:

١ـ أن لا يعتقد أنها تنفع بذاتها، فإن اعتقد أنها تنفع بذاتها من دون الله فهو محرم، لأنه شرك، بل يعتقد أنها سبب لا تنفع إلا بإذن الله.

٢ـ أن لا تكون مما يخالف الشرع، كما إذا كانت متضمنة دعاء غير الله، أو الاستغاثة بالجن وما أشبه ذلك، فإنها محرمة بل شرك.

٣ـ أن تكون مفهومة معلومة، فإن كانت من جنس الطلاسم والشعوذة فإنها لا تجوز، بل لابد أن تكون بالقرآن أو بأسماء الله وصفاته[٢].

مسألة:

هل الاسترقاء يقدح في التوكل؟

الاسترقاء: هو سؤال الرقية وطلبها من الغير.

اختلف العلماء رحمهم الله في هذه المسألة على قولين:

فذهب الإمام أحمد والخطابي والقاضي عياض والنووي وابن تيمية وابن القيم وغيرهم رحمهم الله إلى أن الاسترقاء يقدح في تمام التوكل.

وذهبت طائفة أخرى منهم الطبري والمازري وابن قتيبة وابن عبد البر

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٨/ ٧٠).

(٢) القول المفيد، ١/ ١٨٧، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد، ص: ١٠٨، وفتح الباري ١٠/ ١٩٥.

وغيرهم رحمهم الله تعالى إلى أن الاسترقاء لا يقدح في تمام التوكل[١].

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: (والاسترقاء وطلب الرقية تركه أولى، لكن إن احتيج إليه فلا بأس، ولهذا استرقى النبي ﷺ لأولاد جعفر، وقال لأمهم أسماء: استرقي لهم (رواه مسلم)، لما أصابتهم العين)[٢].

وقال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله: (وأما الاسترقاء فإن الأفضل تركه، لكن لو أن أحداً من الناس هو الذي تقدم وقرأ عليك ولم تمنعه فإن هذا لا يمنع من دخول الإنسان في هذا الحديث (حديث السبعين ألف) لأنك لم تطلب الرقية)[٣].

تنبيه مهم:

بعض الأطباء والرقاة، هدانا الله وإياهم، يعلقون الناس بأشخاصهم هم ولا يعلقونهم بالله تعالى، وهذا سبب من أسباب حصول الشرك، ناهيك عن حصول بعض المخالفات الشرعية كالخلوة وكشف العورات والمبالغة في الأسعار وصرف الأدوية الكثيرة باهظة الثمن، خطيرة النتائج والآثار.

---

(١) التمهيد لابن عبد البر (٥/ ٢٧٨)، وشرح مسلم للنووي حديث (٢١٨)، مجموع فتاوى ابن تيمية (١/ ١٧٢ـ٣٠٠)، فتح الباري (١٠/ ٢١١)، فتح المجيد (٧٣)، كتاب الرقى والتمائم للدكتور فهد السحيمي (٤٢).

(٢) التعليق المفيد (٣٠).

(٣) مجموع الفتاوى للشيخ ابن عثيمين (١٧/ ٣٦)، القول المفيد (١/ ١٠٢).

علاج شرك الأفعال

١ـ التفقه في دين الله تعالى ومعرفة هذه الأعمال الشركية والحذر منها، حيث ثبت أن الجهل من أعظم أسباب الوقوع في مثل هذه الأعمال الشركية.

٢ـ أن نعلم أن التوكل على الله والاعتماد عليه من أخص مظاهر العبودية لله تعالى ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩].

فعلى المؤمن أن يعرف التوكل الصحيح على الله تعالى ويحققه في جميع شؤون حياته، فإن التعلق بغير الله تعالى هو أساس الشرك وقاعدته التي بني عليها.

٣ـ أن نعلم أن تعطيل الأسباب نقص في العقل وقدح في الشرع والتعلق بها نقص في التوحيد وشرك قد يصل بصاحبه إلى الشرك الأكبر المخرج من الملة والعياذ بالله.

٤ـ معرفة الأسباب المشروعة والاستغناء بها عن الأسباب الشركية مع تحقيق الاعتماد على مسبب الأسباب سبحانه ومصرف الأمور ومدبر الكون الذي كتب وقدر المقادير وما هو كائن إلى يوم القيامة قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، كما أخبر النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم.

فحامل التوحيد لا يحمل هم الأسباب مع بذله لها ولا تشغله عن الاعتماد على ربه مسبب الأسباب سبحانه وتعالى، كما قال النبي ﷺ في الحديث: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن**» رواه مسلم.

٥ـ إذا وجد المسلم في نفسه تطيراً أو تشاؤماً فليستعذ بالله تعالى وليقل: «**اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك**» ولينته.

٦ـ لا يملك الضر والنفع إلا الله تعالى، كما أنه لا أحد يعلم الغيب إلا الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

وقال سبحانه: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

٧ـ أن نعلم أنه إذا كانت الأسباب المشروعة للعلاج قد يقع بها الشرك فإن من باب أولى، الحذر والبعد عن أسباب الشرك الأكبر كالسحر والكهانة وما شابهها، فهذه الأعمال الشركية من أخطر ما يهدد العقيدة وصفاء التوحيد والإخلاص، ومما يثير غضب الرب سبحانه وتعالى، لأنها منازعة له عز وجل فيما لا يملكه إلا هو سبحانه.

* وقد حذرنا النبي ﷺ من إتيان السحرة والكهنة والمشعوذين وأمثالهم، أشد تحذير، فقال: «**من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً**» رواه مسلم.

* وقال النبي ﷺ: «**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»[1] رواه الإمام أحمد وغيره.

وقال ﷺ: «**ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تُكهن له أو سحر أو**

(١) صحيح الجامع (٥٩٣٩).

سُحر له»[١] رواه البزار.

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: (ونصيحتي لكل من يتعلق بهذه الأمور أن يتوب إلى الله ويستغفره وأن يعتمد على الله وحده ويتوكل عليه في كل الأمور، مع أخذه بالأسباب الشرعية والحسية المباحة، وأن يدع هذه الأمور الجاهلية ويبتعد عنها ويحذر سؤال أهلها أو تصديقهم، طاعة لله ولرسوله ﷺ وحفاظاً على دينه وعقيدته، وحذراً من غضب الله عليه، وابتعاداً عن أسباب الشرك والكفر التي من مات عليها خسر الدنيا والآخرة)[٢].

(١) السلسلة الصحيحة (٢١٩٥).

(٢) مجموع الفتاوى: (٢/ ١٢١، ١٢٢)

(الشرك الخفي)

هذا هو القسم الثاني من أقسام الشرك الأصغر، وهو الشرك الخفي، وهو الشرك في النيات والإرادات والمقاصد.

وهو من أعمال القلوب، وقد ذكر العلماء رحمهم الله أمثلة كثيرة لهذا النوع من الشرك وبينوا خطره على العبادة وذكروا له صوراً وأشكالاً توضح أنه من الصعوبة بمكان نسأل الله السلامة والعافية ـ وأنه ليس داء العامة فحسب، بل هو أيضاً داء الصالحين والعباد وسموه شرك السرائر.

* قال ﷺ: «**يا أيها الناس إياكم وشرك السرائر؟ قالوا: يا رسول، وما شرك السرائر؟ قال: يقوم الرجل فيصلي، فيزين صلاته جاهداً لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر**» رواه ابن خزيمه في صحيحه[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وأما الشرك الخفي فهو الذي لا يكاد أحد أن يسلم منه، مثل أن يحب مع الله غيره، وكذا الخوف والرجاء وما أشبه ذلك، فهذا هو الشرك الخفي الذي لا يكاد أحدُ أن يسلم منه إلا من عصمه الله تعالى)[(٢)].

* وقال ابن القيم رحمه الله، عن الشرك الخفي: (فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقل من ينجو منه، فمن أراد بعمله غير وجه الله، نوى شيئاً غير التقرب إلى الله، وطلب الجزاء منه، فقد أشرك في نيته وإرادته، والإخلاص أن يخلص لله في

(١)) وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٣١).
(٢) مجموع الفتاوى : ١/ ٩٤.

أقواله وأفعاله وإرادته ونيته، وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من أحد غيرها وهي حقيقة الإسلام)[١].

تعريف الشرك الخفي:

الشرك الخفي هو: كل ما نهى عنه الشرع من أعمال القلوب ومقاصدها، مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر، ووسيلة للوقوع فيه.

وقيل الشرك الخفي هو: ما خفي من حقائق إرادات القلوب وأقوال اللسان مما فيه تسوية بين الله تعالى وخلقه.

وقيل الشرك الخفي هو: كل ما تردد بين أن يكون من الشرك الأكبر أو الشرك الأصغر[٢].

* وفي الجملة: فإن الشرك الخفي هو كل ما خالط إرادة القلب ومقصده وصرفه عن الإخلاص وتوحيد القصد والإرادة لله تعالى سواء كان ذلك باعثاً له على العمل أو طارئاً عليه، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

* ومما يبين خطورة هذا الشرك الخفي، أن النبي ﷺ قد خافه على أفضل الأمة وساداتها وأخلصها، وهم الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، بل أكد لهم أنه أخوف عليهم من المسيح الدجال، وأنه أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل.

* قال ﷺ: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ الشرك الخفي، أن يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل**» رواه الإمام أحمد وابن ماجه[٣].

---

(١) الداء والدواء، فصل : (٦١).

(٢) انظر هذا التعريف والذي قبله في المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ص ١٤٩.

(٣) صحيح الجامع برقم (٢٦٠٧) وسنأتي أحاديث أخرى في الأمثلة.

وقال ﷺ: «**الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا**» رواه الإمام أحمد والحاكم[1].

* وقبل الشروع في بيان بعض أمثلة الشرك الخفي، أؤكد هنا ما ذكرته سابقاً من أن الشرك الأصغر بجميع أنواعه وأقسامه ومنه هذا الشرك الخفي، قد يصل بصاحبه والعياذ بالله إلى الشرك الأكبر، بحسب مقصد صاحبه وما يقوم بقلبه ولذلك عد بعض العلماء الشرك الخفي نوعاً مستقلاً، وقسموه إلى أصغر وأكبر، لبيان خطورته، كما مر معنا في أنواع الشرك.

والأمثلة على الشرك الخفي كثيرة جداً ومتنوعة ومتداخلة خاصة ما يتعلق بالرياء واتباع الهوى وإرادة الدنيا بعمل الآخرة، نسأل الله السلامة والعافية، فمن ذلك:

(١) صحيح الجامع برقم (٣٧٣٠).

١. الرياء والسمعة

الرياء: مشتق من الرؤية، مصدر يرائي رياءاً كقاتل قتالاً.

* قال الجرجاني: الرياء ترك الإخلاص في العمل بمراعاة غير الله فيه[١].

* وقال الحارث المحاسبي: الرياء إرادة العبد العباد بطاعة الله.

* وقال الغزالي: الرياء التشبه بذوي الأعمال الفاضلة طلباً للسمعة والمفاخرة.

* وقال العز بن عبد السلام: الرياء إظهار عمل العبادة لينال مظهرها غرضا دنيوياً إما بجلب نفع أو تعظيم أو إجلال[٢].

وقال القرافي رحمه الله في بيان قاعدة الرياء وضابطها: (وتحقيق هذه القاعدة وسرها وضابطها: أن يعمل العمل المأمور به والمتقرب به إلى الله تعالى ويقصد به وجه الله تعالى وأن يعظمه الناس، أو يعظم في قلوبهم، فيصل إليه نفعهم أو يندفع عنه ضررهم، فهذا هو قاعدة أحد قسمي الرياء.

والقسم الآخر: أن يعمل العمل لا يريد به وجه الله تعالى البته، بل الناس فقط، ويسمى هذا القسم رياء الإخلاص والقسم الأول رياء الشرك، لأن هذا لا تشريك فيه بل خالص للخلق، والأول للخلق ولله.

وأغراض الرياء ثلاثة: التعظيم وجلب المصالح الدنيوية ودفع المضار الدنيوية، والأخيران يتفرعان عن الأول فإنه إذا عظم، انجلبت إليه المصالح واندفعت عنه المفاسد، فهو الغرض الكلي في الحقيقة.

---

(١) التعريفات ص ١٢٦.

(٢) انظر مقاصد المكلفين (٤٣٦).

فهذه قاعدة الرياء المبطلة للأعمال المحرمة بالإجماع)[١].

*** أما التسميع أو السمعة:**

فهو أن يقصد بعمله أن يسمعه الناس فيثنوا عليه.

قال العز بن عبد السلام: (الرياء أن يعمل لغير الله، والسمعة أن يخفي عمله ثم يحدث به الناس)[٢].

وقال الحافظ بن حجر رحمه الله: (المراد بالسمعة نحو ما في الرياء، لكنها تتعلق بحاسة السمع، والرياء بحاسة البصر)[٣].

تنبيه مهم:

إن الرياء الذي يعتبر من الشرك الأصغر (الخفي) هو يسير الرياء، وأما الرياء المحض، فهذا لا يكاد يصدر من مؤمن بل هو نفاق أكبر محبط للعمل ومخرج من الملة والعياذ بالله إن كان في أصل الإيمان، وهذا محل إجماع عند العلماء[٤].

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**يسير الرياء شرك**» رواه ابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان[٥].

* وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة، ترهبنا وتحذرنا تحذيراً شديداً من هذا الداء العضال، ألا هو الرياء و السمعة:

فمن ذلك بالإضافة إلى ما سبق:

---

(١) الفروق ٣/ ٤٣، الفرق الثاني والعشرون والمائة.

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ٢٩٧).

(٣) فتح الباري (١١/ ٣٣٥).

(٤) انظر إحياء علوم الدين ٣/ ٣١٨، مدارج السالكين ١/ ٣٥٢، وجامع العلوم والحكم لابن رجب الحديث الأول، فتح المجيد ٤٣٠٥، تيسير العزيز الحميد ٥٣٣، القول المفيد لابن عثيمين ٢/ ١٢٤.

(٥) مشكاة المصابيح (٥٣٢٨) والسلسلة الضعيفة (١٨٥٠) فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٧٤٨.

* قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

قال العلماء: الذي يعمل مراءاة وسمعة للناس يبطل عمله، كما يبطل العمل بالمن والأذى، وإن كان قصد بذلك وجه الله في ابتداء الأمر[1].

* وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاء قَرِيناً﴾ [النساء: ٣٨].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسيره عند هذه الآية: (فكما أن من بخل بما أتاه الله وكتم ما من به الله عليه، عاص آثم مخالف لربه، فكذلك من أنفق وتعبد لغير الله فإنه آثم عاص لربه مستوجب للعقوبة، لأن الله إنما أمر بطاعته وامتثال أمره على وجه الإخلاص).

* وقال تعالى:﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ١٤٢].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسيره عند هذه الآية: (فهذه الأوصاف المذمومة تدل بتنبيهها على أن المؤمنين متصفون بضدها من الصدق ظاهراً وباطناً والإخلاص، وأنهم لا يجهل ما عندهم، ونشاطهم في صلاتهم وعباداتهم وكثرة ذكرهم لله تعالى، وأنهم قد هداهم الله ووفقهم للصراط المستقيم، فليعرض العاقل نفسه على هذين الأمرين وليختر أيهما أولى به، والله المستعان).

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ

(١) انظر تفسير السعدي، وتفسير البغوي عند تلك الآية.

يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف: ١١٠].

استدل السلف رحمهم الله من المفسرين وغيرهم بهذه الآية على تحريم الرياء وأنه من الشرك الخفي.

ووجه الدلالة: هي قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ بعد قوله: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً﴾ لأن العمل لا يكون صالحاً إلا إذا كان خالصاً لوجه الله موافقاً لسنة رسول الله ﷺ، فدل ذلك على أن العمل الصالح قد يخالطه شيء من الشرك.

وقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ﴾ نكره في سياق النهى فعمت جميع أنواع الشرك بما فيها الرياء.

وقوله: ﴿أحداً﴾ يعم جميع الخلق بمراءاة أو بتسميع أو بغير ذلك[1].

* وقد روي في سبب نزول هذه الآية: (أن رجلاً قال يا رسول الله: إني أقف المواقف أريد وجه الله، وأحب أن يرى موطني؟ فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئاً حتى نزلت هذه الآية ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف: ١١][2].

* وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءاً وسمعة،**

(١) انظر أقوال المفسرين عند هذه الآية مثل تفسير الطبري وابن كثير، القرطبي، البغوي وانظر كذلك التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص ٣٩٩.

(٢) انظر تفسير الطبري، ابن كثير، الدر المنثور.

فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً» رواه البخاري ومسلم.

* وأما الأحاديث النبوية التي تحذرنا كذلك من هذا الداء العضال فهي كثيرة، فمن ذلك بالإضافة إلى ما سبق:

* قوله ﷺ: «من سمع سمع الله به، ومن راءى راءى الله به» متفق عليه.

ومعناه: يفضحه الله تعالى في الدنيا والآخرة والعياذ بالله[١].

* وقال ﷺ: «**من سمع الناس بعمله، سمع الله به سامع خلقه وصغره وحقره**» رواه الإمام أحمد وغيره[٢].

* وعن محمود بن لبيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر قال: الرياء، يقول الله يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءاً**» رواه الإمام أحمد[٣].

* وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «**الرجل يقاتل لمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال ﷺ: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**» متفق عليه.

* وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لا شيء له**»، فأعادها ثلاث مرات يقول له رسول الله ﷺ: «**لا شيء له**»، ثم قال: «**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه**» رواه النسائي[٤].

---

(١) انظر فتح الباري (١١/ ٣٣٥).

(٢) صحيح الترغيب والترهيب (٢٥).

(٣) صحيح الجامع رقم (١٥٥٥).

(٤) السلسلة الصحيحة رقم (٥٢).

* وعن شداد بن أوس ﷺ قال: كنا نعد الرياء على عهد رسول الله ﷺ الشرك الأصغر) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي[١].

* وقال ﷺ: «**من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**»[٢].

عرف الجنة: أي ريحها.

* وقال عليه الصلاة السلام: «**من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء ويصرف وجوه الناس إليه أدخله الله النار**» رواه الترمذي وابن ماجه[٣].

* وقال ﷺ: «**من صلى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك، ومن تصدق يرائي فقد أشرك**» رواه الإمام أحمد[٤].

* وفي الصحيحين عن سهل بن سعد ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة يبدو للناس وهو من أهل النار...**» الحديث.

* وقد تقدم معنا حديث الثلاثة أول من تسعر بهم النار يوم القيامة والعياذ بالله وهم عالم، ومجاهد، وجواد، حيث لم يبتغوا بذلك وجه الله تعالى، وإنما أرادوا أن يقال عنهم ما قيل، نعوذ بالله من الخذلان[٥].

* وقد جاءت الآثار الكثيرة عن أئمة السلف والعلماء رحمهم الله في التحذير من الرياء والسمعة فمن ذلك[٦].

* عن شداد بن أوس ﷺ، لما حضرته الوفاة قال: (إن أخوف ما أخاف

---

(١) مستدرك الحاكم ٤/ ٣٢٩، وفتح المجيد (٤٣٥)

(٢) رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه، صحيح الترغيب والترهيب رقم (١٠٥)

(٣) صحيح الترغيب والترهيب رقم (١٠٦)

(٤) مشكاة المصابيح (٥٣٣١).

(٥) انظر ص ١١.

(٦) استفدت هذه الآثار من كتاب التهذيب الموضوعي لحلية الأولياء لمحمد الهبدان.

عليكم الرياء والشهوة الخفية)[١].

* وعن سلمان الفارسي ﷺ، قال: (لكل امرىءٍ جواني وبراني فمن يصلح جوانيه، يصلح الله برانيه، ومن يفسد جوانيه، يفسد الله برانيه)[٢].

* وعن سفيان بن عيينه قال: (من تزين للناس بشيء يعلم الله منه غير ذلك شانه الله)[٣].

* وعنه رحمه الله قال: (قال رجل من العلماء: اثنتان أنا أعالجهما منذ ثلاثين سنة: ترك الطمع فيما بيني وبين الناس، وإخلاص العمل لله عز وجل)[٤].

* وعن عبده بن أبي لبابه قال: (أقرب الناس إلى الرياء آمنهم منه)[٥].

* وعن يوسف بن أسباط قال: (لا يقبل الله عملاً فيه مثقال ذرة من رياء)[٦].

* وعن بشر الحافي قال:(أكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك)[٧].

* وعن حماد بن سلمة رحمه الله قال: (من طلب الحديث لغير الله، مكر به)[٨].

* وعن أيوب السختياني قال: (والله ما صدق عبد إلا سره أن لا يُشعر بمكانه)[٩].

* وقال ابن القيم رحمه الله: (التزين بالمراءاة عين عبادة النفس)[١٠].

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٢٦٨).
(٢) حلية الأولياء (١/ ٢٠٣).
(٣) حلية الأولياء (٧/ ٢٧١).
(٤) حلية الأولياء (٧/ ٢٧٠).
(٥) سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٢٩.
(٦) حلية الأولياء (٨/ ٢٤٠).
(٧) حليه الأولياء (٨/ ٣٤٦).
(٨) حلية الأولياء (٦/ ٢٥١).
(٩) حيلة الأولياء (٣/ ٦).
(١٠) مدارج السالكين (٢/ ٨٤).

مسألة مهمة:

هل تبطل كل عبادة خالطها الرياء؟

قال النووي رحمه الله: والرياء نوعان:

أحدهما: لا يريد بطاعته إلا الناس.

والثاني: أن يريد الناس ورب الناس.

وكلاهما محبط للعمل، ونقل هذا القول الحافظ أبو نعيم في الحلية عن بعض السلف، واستدل بعضهم على ذلك أيضاً بقوله تعالى: ﴿الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فكما أنه تكبر عن الزوجة والولد والشريك، تكبر أن يقبل عملاً أشرك فيه غيره، فهو تعالى أكبر وكبير ومتكبر، وقال السمرقندي رحمه الله تعالى: ما فعل لله تعالى قبل وما فعل من أجل الناس رد.

ومثال ذلك: من صلى الظهر مثلاً، وقصد أداء ما فرض الله تعالى عليه ولكنه طول أركانها وقراءتها وحسن هيئتها من أجل الناس؟ فأصل الصلاة مقبول، وأما طوله وحسنه من أجل الناس فغير مقبول لأنه قصد به الناس، وسئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام عمن صلى فطول صلاته من أجل الناس؟ فقال: أرجو أن لا يحبط عمله، هذا كله إذا حصل التشريك في صفة العمل، فإن حصل في أصل العمل بأن صلى الفريضة من أجل الله تعالى والناس: فلا تقبل صلاته لأجل التشريك في أصل العمل)[1].

* وقال ابن رجب رحمه الله: (وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام وقد يصدر في الصدقة الواجبة والحج وغيرهما من الأعمال الظاهرة أو التي يتعدى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة.

(١) شرح النووي على الأربعين، الحديث الأول (٢٧).

وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء، فإن شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه وحبوطه أيضاً وممن روي عنه هذا المعنى وأن العمل إذا خالطه شيء من الرياء كان باطلاً: طائفة من السلف منهم عبادة بن الصامت وأبو الدرداء والحسن وسعيد بن المسيب وغيرهم.

ولا نعرف عن السلف في هذا اختلافاً وإن كان فيه خلاف عن بعض المتأخرين.

وأما إن كان أصل العمل لله ثم طرأت عليه نية الرياء؟

فإن كان خاطراً ودفعه فلا يضره.

وإن استرسل معه فهل يحبط به عمله أم لا يضره ذلك ويجازى على أصل نيته؟ في ذلك خلاف بين العلماء من السلف حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبري ورجحا أن عمله لا يبطل بذلك وأنه يجازى بنيته الأولى وهو مروي عن الحسن البصري وغيره.

وذكر ابن جرير أن هذا الاختلاف إنما هو في عمل يرتبط آخره بأوله، كالصلاة والصيام والحج، فأما مالا ارتباط فيه كالقراءة والذكر وإنفاق المال ونشر العلم، فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئة عليه ويحتاج إلى تجديد نيته)[1].

* وقال القرافي رحمه الله: (أعلم أن الرياء في العبادات شرك وتشريك مع الله تعالى في طاعته وهو موجب للمعصية والإثم والبطلان في تلك العبادة، كما نص عليه الإمام المحاسبي وغيره، ويعضده ما في الحديث الصحيح أخرجه مسلم وغيره أن الله تعالى يقول: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته له، أو تركته لشريكي**»، فهذا ظاهر في عدم الاعتداد بذلك العمل عند الله تعالى. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ

(١) جامع العلوم والحكم، الحديث الأول (١/ ٤٦).

لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، يدل على أن غير المخلصين لله تعالى ليسوا مأمورين به، وما هو غير مأمور به لا يجزي عن المأمور به، فلا يعتد بهذه العبادة)[١].

* وقال الشيخ محمد العثيمين، رحمه الله ملخصاً هذه المسألة: (والرياء ينقسم باعتبار إبطاله للعبادة إلى قسمين:

الأول: أن يكون في أصل العبادة، أي ما قام يتعبد إلا للرياء، فهذا عمله باطل مردود عليه لحديث أبي هريرة في الصحيح مرفوعاً، قال الله تعالى: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**».

الثاني: أن يكون الرياء طارئاً على العبادة، أي أصل العبادة لله لكن طرأ عليها الرياء، فهذا ينقسم إلى قسمين:

الأول: أن يدافعه، فهذا لا يضره.

مثاله: رجل صلى ركعة، ثم جاء أناس في الركعة الثانية فحصل في قلبه شيء، بأن أطال الركوع، أو السجود، وما أشبه ذلك، فإن دافعه فإنه لا يضره، لأنه قام بالجهاد، وإن استرسل معه، فكل عمل ينشأ عن هذا الرياء باطل كما لو أطال القيام أو الركوع، أو السجود، أو تباكى فهذا كل عمله حابط، ولكن هل هذا البطلان يمتد إلى جميع العبادة أم لا؟

نقول: لا يخلو هذا من حالين:

الحال الأول: أن يكون آخر العبادة مبيناً على أولها بحيث لا يصح أولها مع فساد آخرها، فهى كلها فاسدة وذلك مثل الصلاة: فالصلاة مثلاً لا يمكن أن يفسد آخرها، ولا يفسد أولها، إذن تبطل الصلاة.

الحال الثانية: أن يكون أول العبادة منفصلاً عن آخرها، بحيث يصح أولها

(١) الفروق ٣/ ٤٢، الفرق الثاني والعشرون والمائة.

دون آخرها، فما سبق الرياء فهو صحيح، وما كان بعده فهو باطل، مثال ذلك: رجل عنده مائة ريال، فتصدق بخمسين لله بنيه، ثم تصدق بخمسين بقصد الرياء، فالأولى مقبولة والثانية غير مقبولة،لأن آخرها منفك عن أولها[1].

من صور وأمثلة الرياء والسمعة:

أبواب الرياء كثيرة، وصوره وأمثلته متنوعة، نعوذ بالله من ذلك، فهو يهدد جميع أنواع العبادة من الأقوال والأفعال الظاهرة، ولا يسلم منه إلا من عصم الله تعالى، فمن ذلك:

١ـ قد يكون الرياء في الصلاة بإطالة القيام والركوع والسجود ومد الظهر وإطراق الرأس وإظهار الطمأنينة، ليقال حسن الصلاة.

٢ـ قد يكون الرياء في الصوم بخفض الصوت وإغارة العينين، وذبول الشفتين ليستدل بذلك على مواظبة الصوم.

٣ـ قد يكون الرياء في الحج والعمرة بالمواظبة عليهما ليعرف بالحرص على مواسم الخير ويقال حاج.

٤ـ قد يكون الرياء في الصدقة بإكرام الضيف وكثرة الإنفاق في وجوه الخير ليقال كريم جواد.

٥ـ قد يكون الرياء في الذهاب إلى أماكن القتال، ليقال مجاهد وشجاع وجرئ.

٦ـ قد يكون الرياء في طلب العلم وتعليمه وكثرة التأليف والمصنفات ليعرف بسعة العلم والإطلاع وليقال عالم.

٧ـ قد يكون الرياء بقراءة القرآن وترتيله وتجويده، ليقال قارئ.

٨ـ قد يكون الرياء بالوعظ والتذكير والدعوة والنطق بالحكمة وحفظ

(١) القول المفيد ١/ ١١٤ ـ ١١٥، وانظر مقاصد المكلفين ص (٤٤٣).

الأخبار والآثار لأجل استعمالها في المحاورة وإظهاراً لغزارة العلم ودلالة على شدة العناية بأحوال السلف.

٩ـ قد يكون الرياء بإظهار النحول والصفار، ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة.

١٠ـ قد يكون الرياء بحلق الشارب وإعفاء اللحية، وإبقاء أثر السجود على الوجه، وتقصير الثياب، ولبس الخشن منها، وعدم العناية بالنظافة والطيب.

١١ـ قد يكون الرياء بالإخبات في المشي عند اللقاء، كإرخاء الجفون وتنكيس الرأس والإطراق في المشي والهدوء في الحركة، والوقار في الكلام، حتى إن المرائي قد يسرع في المشي إلى حاجته، فإذا اطلع عليه أحد من أهل الدين، رجع إلى الوقار وإطراق الرأس خوفاً من أن ينسبه إلى العجلة وقلة الوقار.

١٢ـ قد يكون الرياء بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأجل أن يعرف بالغيرة على محارم الله، وعدم المداهنة والحرقة على الدين.

١٣ـ قد يكون الرياء بكثرة الدعاء أمام الناس في الخطب والمحاضرات لولاة الأمور والعلماء ليظهر نصحه وولاءه في حين أنه لا يفعل ذلك في خلوته.

١٤ـ قد يكون الرياء بالأصحاب والزائرين والمخالطين، كالذي يتكلف أن يستزير عالماً من العلماء ليقال أن فلاناً يزوره العلماء والصالحون.

١٥ـ قد يكون الرياء بالإكثار من ذكر المشايخ والعلماء ليري أنه لقي كثيراً منهم واستفاد منهم فيباهي بهم عند المخاصمة.

١٦ـ قد يكون الرياء بالإكثار من اتهام النفس بالتقصير أمام الناس وتوبيخها ليظهر تواضعه في حين أنه لا يقبل أن يوجه له مثل هذا الكلام[1].

(١) انظر بعض هذه الصور في إحياء علوم الدين ٣/ ٣١٥.

وختاماً:

فإن كل ما سبق من التحذير من الرياء والتسميع إنما هو فيمن يعمل، ثم يرائي ويسمع بما عمل، وأما من يرائي ويسمع بما لم يعمل، فهذا قد جمع معصيتين قبيحتين وهما: الكذب والرياء، وهذا والعياذ بالله من شر المنازل، وربما دخل في قوله تعالى: ﴿لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران١٨٨].

وفي قوله ﷺ: «**المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور**» متفق عليه.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (من تزين بما ليس فيه شانه الله)[١].

نسأل الله أن يجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

ثوب الرياء يشف عما تحته فإذا اكتسيت به فإنك عار

علاج الرياء والسمعة:

١ ـ أن نعلم أن يسير الرياء الذي هو من الشرك الأصغر، قد يجر والعياذ بالله إلى الرياء المحض الذي لا يكاد يصدر من مؤمن وإنما هو رياء المنافقين الذين توعدهم الله بالدرك الأسفل من النار.

ولذلك نسب ابن نجيم إلى بعض الحنفية القول بكفر من صلى رياءًا[٢].

٢ ـ أن نعلم أن الرياء والتسميع استهزاء بالله تعالى واستخفاف بعقابه سبحانه وعلمه واطلاعه على السرائر وما تخفي الصدور.

٣ـ أن نعلم يقينًا أن الرياء قد خافه النبي ﷺ على خيار الأمة وساداتها وهم الصحابة رضي الله عنهم، بل أخبر كما مر معنا أنه أخوف عليهم من المسيح الدجال.

---

(١) إعلام الموقعين ٢/ ١٥٦.

(٢) انظر مقاصد المكلفين ٤٤٩،نقلاً عن الأشباه والنظائر لابن نجيم (٣٩).

فغيرهم أولى بالخوف منه والحذر من أسبابه كما أن الرياء في الغالب هو داء الصالحين والعباد قبل غيرهم من الناس.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: (لو حلفت أني مراء كان أحب إليَّ من أن أحلف أني لست بمراء)[١].

وقال إبراهيم التيمي: (ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذباً)[٢].

وقال الحسن البصري رحمه الله (ما خافه إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق)[٣].

* وقيل للإمام أحمد رحمه الله:

(أتعلمت هذا العلم لله؟ فقال: أما لله فعزيز! ولكن شيء حبب إليّ ففعلته)[٤].

* وقال الطيبي رحمه الله عن الرياء: (هو من أضر غوائل النفس وبواطن مكائدها يبتلى به العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة، فإنهم مهما قهروا نفوسهم وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات، عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح، فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار العلم والعمل، فوجدت مخلصًا من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق، ولا تقنع باطلاع الخالق تبارك وتعالى وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده، فأحبت مدحهم وتبركهم بمشاهدته وخدمته وإكرامه وتقديمه في المحافل، فأصابت النفس في ذلك أعظم اللذات وأعظم الشهوات، وهو يظن أن حياته

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٣٤.
(٢) فتح الباري ١/ ١١٠.
(٣) فتح الباري ١/ ١١١.
(٤) روضة المحبين لابن القيم (٥٩).

بالله تعالى وبعبادته، وإنما حياته هذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها العقول النافذة، قد أثبت اسمه عند الله من المنافقين وهو يظن أنه عند الله من عباده المقربين، وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون)[١].

* وكثيرًا ما سمعت الشيخ عبد العزيز بن باز، رحمه الله، إذا ذكر عنده الشرك أو الرياء أو النفاق أو غيرها من المعاصي، يقول بصوته المؤثر: نعوذ بالله.... نسأل الله السلامة والعافية..... الخ، كالخائف على نفسه رحمه الله.

فالواجب الخوف والحذر دائماً وعدم الغفلة عن هذا الداء العضال ومن خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزلة بإذن الله تعالى.

٤ـ أن نعلم أن الخوف من عدم قبول العمل واتهام النفس من دأب الصالحين، ومما أثنى الله تعالى على أهله ومدحهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون:٦٠].

قالت عائشة رضي الله عنها: (يا رسول الله أهو الرجل يزني ويسرق ويخاف أن لا يتقبل منه، فقال ﷺ: «**لا يا ابنة الصديق، بل هو الرجل يصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه**»)[٢] رواه الترمذي وابن ماجه.

٥ـ أن نعلم أن كلام الناس ومدحهم وذمهم، لا يغير من الحقيقة شيئاً، ولا ينفع ولا يضر إلا إذا وافق الواقع.

قال رجل للنبي ﷺ: «**إن حمدي زين وذمي شين؟ فقال عليه الصلاة والسلام: ذاك الله عز وجل**»[٣] رواه الإمام أحمد والترمذي.

فالفوز العظيم والفلاح المبين والنجاح الحقيقي هو ما كان عند الله عز وجل.

---

(١) الإخلاص والشرك الأصغر: ٤٣.

(٢) صحيح سنن الترمذي للألباني رحمه الله، (١٥٣٧).

(٣) المصدر السابق، (٢٦٠٥).

٦ ـ أن نعلم أن الرياء والسمعة وغيرها من المقاصد الشركية تنقص الأجر، وقد تحبط العمل كما مر معنا، وبالتالي يصبح العبد مأزوراً غير مأجور، خاصة، فيما أوجبه الله تعالى من الأعمال.

قال ابن القيم رحمه: (وهذا الشرك في العبادة يبطل ثواب العمل، وقد يعاقب عليه إذا كان العمل واجباً، فإنه ينزله منزلة من لم يعمل فيعاقب على ترك الأمر...)[1].

٧ـ أن نعلم أن العمل كلما كان خفياً، كان أحب إلى الله تعالى وأعظم أجراً.

ولذلك أخفى الله تعالى أجر الصيام لأنه عبادة خفية فقال تعالى في الحديث القدسي: «**إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**» رواه مسلم.

وكذلك في قيام الليل، لأنه عبادة خفية، وصف الله ثوابه وأجره بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

وقال ﷺ: «**إن الله تعالى يحب العبد التقي الغني الخفي**» رواه مسلم.

فكلما كان العبد تقياً لله تعالى مستغنياً به سبحانه عن الناس مستخفياً بعمله، كان أحب إلى الله تعالى.

٨ـ الخوف من سوء الخاتمة، لأن المرائي قد أخرج نفسه من عداد الصادقين والصالحين، فقد يختم له والعياذ بالله وهو على ريائه فيخسر الدنيا والآخرة، لأنه من مات على شيء بعث عليه، والناس يبعثون على نياتهم يوم القيامة، والأعمال بخواتيمها.

٩ـ أن نعلم أن السلامة من الرياء والسمعة ليست من الأمور المستحيلة وإلا لما كلفنا الله بذلك، مع أن حب المحمدة والثناء من الأمور المغروسة في

(١) الداء والدواء ص ١٩١.

أعماق النفس البشرية.

فالواجب أن نبذل الأسباب ولا نيأس من رحمة الله، ومن صدق مع الله صدق الله معه، والله لطيف بعباده سبحانه ولا يكلف نفساً إلا وسعها.

١٠ـ أن نعلم أن المرائي جاهل بربه مزور كذاب غشاش، يعيش في هم وغم وعناء لأن من راقب الناس مات هماً، وأما من راقب الله سبحانه أصبح من المحسنين، والله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

نسأل الله أن يجعلنا من عباده المخلصين

مزالق وتنبيهات في علاج الرياء والسمعة

يجتهد بعض الناس للتخلص من الرياء والسلامة منه، لكنهم قد يقعون في خطأ أشد منه، وتلك مشكلة عانى منها كثير من الناس.

ولذلك، نبه كثير من العلماء إلى بعض المزالق التي وقع فيها الهاربون من الرياء، وبينوا أن تلك الأعمال التي يظن أنها علاج للرياء خطأ ينبغي البعد عنها وتركها، فمنها:

١. ترك العمل خوف الرياء:

بعض الناس قد اعتاد فعل الخير فيعرض في نفسه عارض الرياء فيترك الطاعة خوفاً من هذا العارض، أو يترك الطاعة لمجرد أنها مشاهدة.

ولاشك أن هذا خطأ وانحراف لا يقل خطراً عما يقابله من الرياء والسمعة. قال الفضيل بن عياض رحمه الله عن هذا الانحراف: (ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما).

قال النووي موضحاً ذلك: (ومعنى كلامه رحمه الله، أن من عزم على عبادة وتركها مخافة أن يراه الناس، فهو مراء لأنه ترك العمل لأجل الناس، أما لو تركها ليصليها في الخلوة، فهذا مستحب إلا أن يكون فريضة، أو زكاة واجبة أو يكون عالماً يقتدي به، فالجهر بالعبادة في ذلك أفضل)[1].

* قالت اللجنة الدائمة للإفتاء حول مقولة الفضيل بن عياض رحمه الله: (أما قوله إن العمل من أجل الناس شرك فهو صحيح لأن الأدلة من الكتاب والسنة تدل على وجوب إخلاص العبادة لله وحده وتحريم الرياء، وقد سماه النبي ﷺ:

(١) الإخلاص والشرك الأصغر (١٨)، وشرح النووي للأربعين، الحديث الأول (٢٨).

الشرك الأصغر، وذلك أنه أخوف ما يخاف على أمته عليه الصلاة والسلام.

وأما قوله إن ترك العمل من أجل الناس رياء فليس على إطلاقه، بل فيه تفصيل، والمعول على ذلك على النية، لقول النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**»، مع العناية بتحري موافقة الشريعة في جميع الأعمال لقوله عليه الصلاة والسلام: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو رد**».

فإذا وقع للإنسان حالة ترك فيها العمل الذي لا يجب عليه لئلا يظن به ما يضره، فليس هذا من الرياء، بل هو من السياسة الشرعية.

وهكذا لو ترك بعض النوافل عند بعض الناس، خشية أن يمدحوه بما يضره أو يخشى الفتنة به، أما الواجب فليس له أن يتركه إلا لعذر شرعي)[1].

* وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ومن كان له ورد مشروع من صلاة الضحى أو قيام ليل أو غير ذلك فإنه يصليه حيث كان، ولا ينبغي له أن يدع ورده المشروع لأجل كونه بين الناس إذا علم الله من قلبه أنه يفعله سراً لله، مع اجتهاده في سلامته من الرياء ومفسدات الإخلاص...).

إلى أن قال رحمه الله: (ومن نهى عن أمر مشروع بمجرد زعمه أن ذلك رياء فنهيه مردود عليه من وجوه:

أحدها: أن الأعمال المشروعة لا ينهى عنها، خوفاً من الرياء، بل يؤمر بها وبالإخلاص فيها، لأن الفساد في ترك إظهار المشروع أعظم من الفساد في إظهاره رياءاً، كما أن فساد ترك إظهار الإيمان والصلوات أعظم من الفساد في إظهار ذلك رياءاً، لأن الإنكار إنما يقع على الفساد في إظهار ذلك رئاء الناس.

الثاني: لأن الإنكار إنما يقع على ما أنكرته الشريعة، وقد قال رسول الله ﷺ: «**إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس**...» الحديث.

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة، ١/ ٧٦٨.

الثالث: أن تسويغ مثل هذا يفضي إلى أن أهل الشرك والفساد ينكرون على أهل الخير والدين إذا رأوا من يظهر أمراً مشروعاً مسنوناً قالوا: هذا مراء فيترك أهل الصدق والإخلاص، إظهار الأمور المشروعة حذراً من لمزهم وذمهم، فيتعطل الخير ويبقى لأهل الشرك شوكة يظهرون الشر ولا أحد ينكر عليهم، وهذا من أعظم الفساد.

الرابع: أن مثل هذا من شعائر المنافقين وهو الطعن على من يظهر الأعمال المشروعة قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ٧٩] الآية)[١].

* قال ابن القيم رحمه الله: المشاهدة في العمل لغير الله نوعان:

مشاهدة تبعث عليه أو تقوي باعثه، فهذه مراءاة خالصة أو مشوبة.

ومشاهدة لا تبعث عليه ولا تعين الباعث بل لا فرق عنده بين وجودها وعدمها، فهذه لا تدخله في التزين بالمراءاة ولاسيما عند المصلحة الراجحة في هذه المشاهدة.

إما حفظاً ورعاية كمشاهدة مريض أو مشرف على هلكة يخاف وقوعه فيها (أي أثناء تأدية الصلاة).

أو مشاهدة عدو يخاف هجومه كصلاة الخوف عند المواجهة.

أو مشاهدة ناظر إليك يريد أن يتعلم منك فتكون محسنًا إليه بالتعلم وإلى نفسك بالإخلاص[٢].

أو قصداً منك للاقتداء وتعريف الجاهل[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٣/ ١٧٤ بتصرف يسير.

(٢) كما ثبت عن مالك بن الحويرث ﷺ أنه قال لأصحابه (إني لأصلي بكم وما أريد الصلاة، أصلي كيف رأيت النبي ﷺ يصلي (رواه البخاري، فتح الباري (٢/ ١٦٣).

(٣) كمن يتصدق علانية بقصد أن يقتدى به وأن يكثر العطاء وقد مدح الله عز وجل المنفقين بقوله =

فهذا رياء محمود والله عند نية القلب وقصده، وأما الرياء المذموم أن يكون الباعث قصد التعظيم والمدح والرغبة عند من ترائيه أو الرهبة منه وأما ما ذكرنا فليس في هذه المشاهد رياء[١].

٢. ترك النشاط والإقبال على الطاعة أحياناً:

قد يكون أحدنا بين أظهر بعض الصالحين، فينشط في الإقبال على الطاعة والمسارعة إليها، فربما قاموا من الليل، فقام معهم، وقد يبذلون ويتصدقون وهو معهم على ذلك، أو يصلون أكثر الليل وعادته قيام ساعة، فيوافقهم أو يصومون، فيصوم، ولولاهم ما انبعث هذا النشاط.

فربما ظن ظان أن هذا رياء، وليس كذلك على الإطلاق بل فيه تفصيل، وهو أن كل مؤمن يرغب في عبادة الله تعالى، ولكن تعوقه العوائق، وتستهويه الغفلة، فربما كانت مشاهدة الغير سبباً لزوال الغفلة واندفاع العوائق، فإن الإنسان إذا كان في منزله تمكن من النوم على فراش وطيئ وتمتع بزوجته، فإذا بات في مكان غريب، اندفعت هذه الشواغل وحصلت له أسباب تبعث على الخير، مثل مشاهدة العابدين، أو يعسر عليه الصوم في منزله لكثرة المطاعم فيصده الشيطان قائلاً: إذا عملت غير عادتك كنت مرائيًا!

فلا ينبغي أن يلتفت إليه، وإنما ينبغي أن ينظر إلى قصده ونيته، ويسأل نفسه: هل عمل هذا العمل لأجل أن يراه الناس؟ أم أنه عمله لله تعالى بعدما تذكر وشجعه من رأى فيه عبادة أكثر منه، وأثار فيه روح المنافسة على ما أمر الله بالمنافسة فيه[٢].

=

(الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية) وكذلك من يتحدث عن طلبه للعلم وحفظ القرآن ورحلاته في الدعوة إلى الله والأعمال الخيرية، وإنما الأعمال بالنيات.

(١) مدارج السالكين(٢/ ٨٣) بتصرف يسير.

(٢) انظر: الإخلاص والشرك الأصغر (٢٤٥) نقلاً عن مختصر منهاج القاصدين (٢٤٥).

٣ ـ ترك الدفاع عن الوطن المسلم:

قال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله: (من قاتل وطنية ففي سبيل الطاغوت، ومن قاتل حمية على قومه فهو في سبيل الطاغوت، ومن قاتل لينال دنيا فهو في سبيل الطاغوت لأن الله يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٧٦].

لكن لو قاتل الإنسان قومية أو وطنية لا من أجل القومية ولا الوطنية، ولكن من أجل حماية وطنه المسلم أن يعتدي عليه الكفار فهذا في سبيل الله، لأن حماية بلاد المسلمين ثمرتها أن تكون كلمة الله هي العليا، وكذلك حماية المسلمين ثمرتها أن تكون كلمة الله هي العليا)[١].

٤ . من يقاتل من أجل أن يقتل فقط:

يردد كثير من الناس أنه إنما يريد أن يقاتل ليقتل فقط مبالغة منه في الإخلاص من غير نظر إلى تحقيق مصلحة للمسلمين أو نكاية في الأعداء.

* قال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله: (لو أن الإنسان قاتل ليقتل فقط في هذا القتال فهل يكون في سبيل الله؟

الجواب: لا، وهذا نية كثير من الشباب يذهبون لأجل أن يقتلوا ويقولون: نحن نقتل شهداء.

فيقال: لا، بل اذهبوا لتقاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا ولو بقيتم، لا تذهبوا لأجل أن تقتلوا لكن لأجل أن تكون كلمة الله هي العليا وحينئذ إن قتلتم في هذا فأنتم في سبيل الله)[٢].

---

(١) شرح رياض الصالحين ٦/ ٣٤٦، ومجموع الفتاوى: ٢٥/ ٣١٠.

(٢) شرح رياض الصالحين ٦/ ٣٤٦.

٢- حب الجاه والشهرة والرياسة

الشهرة لغة: ظهور الشيء في شنعه وهي الفضيحة.

واصطلاحاً: هي انتشار الصيت والاشتهار بين الناس بالذكر الحسن.

والجاه: هو قيام المنزلة في قلوب الناس وملكها ليستعمل بواسطتها أربابها في أغراضه ومآربه، باعتقادهم فيه من صفات الكمال من العلم والعمل والزهد ونحوها.

الرياسة والرئاسة: الريس والرئيس هو سيد القوم[١].

* قال ابن رجب رحمه الله: (واعلم أن حب الشرف بالحرص على نفوذ الأمر والنهي وتدبير أمر الناس إذا قصد بذلك مجرد علو المنزلة على الخلق والتعاظم عليهم وإظهار صاحب هذا الشرف حاجة الناس إليه وافتقارهم إليه وذلهم له في طلب حوائجهم فيه، فهذا نفسه مزاحمة لربوبية الله تعالى وإلهيته، وربما يتسبب بعض هؤلاء إلى إيقاع الناس في أمر يحتاجونه فيه إليه ليضطرهم بذلك إلى رفع حاجاتهم إليه وافتقارهم واحتياجهم إليه، ويتعاظم بذلك ويتكبر به وهذا لا يصلح إلا لله تعالى وحده)[٢].

وقال رحمه الله كذلك: الحرص على الشرف على قسمين:

أحدهما: طلب الشرف بالولاية والسلطان والمال، وهذا خطير جداً، وهو الغالب، يمنع خير الدنيا والآخرة وشرفها وكرامتها وعزها.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٢٩٥، لسان العرب، القاموس المحيط مادة (شهر) ومادة (راس).

(٢) رسالة شرح حديث (ماذئبان جائعان)، لابن رجب رحمه الله (١٢) وهي رسالة قيمة في هذا الموضوع.

وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

ثانيهما: طلب الشرف والعلو على الناس بالأمور الدينية كالعلم والعمل والزهد، فهذا أفحش من الأول وأقبح وأشد فساداً وخطراً[(١)].

* قال تعالى: ﴿لاَّ تَجْعَل مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً﴾ [الإسراء: ٢٢].

قال العلماء: أفاد منطوق هذه الآية أن من تعلق بغير الله وكله الله إليه وحصل له الذم والخذلان في جميع أحواله، كما أفاد مفهوم هذه الآية أن الموحد لربه محمودٌ ومعان ومنصور في جميع أحواله.

* قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره، عند هذه الآية: (يخبر تعالى أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون علواً في الأرض، أي ترفعاً على خلق الله وتعاظماً عليهم وتجبراً بهم ولا فساداً فيهم، كما قال عكرمة: العلو: التجبر، وقال سعيد بن جبير: العلو: البغي.

وقال سفيان بن سعيد الثوري عن منصور عن مسلم البطين، العلو في الأرض: التكبر بغير حق، والفساد: أخذ المال بغير حق.

وعن علي: إن الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك نعل صاحبه، فيدخل في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

وهذا محمول على ما إذا أراد بذلك الفخر والتطاول على غيره فإن ذلك مذموم، وأما إذا أحب ذلك لمجرد التجمل فهذا لا بأس به) انتهى بتصرف.

---

(١) المصدر السابق.

* وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي، رحمه الله، في تفسيره عند الآية السابقة: (وهذا شامل لجميع المعاصي، فإذا كانوا لا إرادة لهم في العلو في الأرض والإفساد لزم من ذلك أن تكون إرادتهم مصروفه إلى الله، وقصدهم الدار الآخرة، وحالهم التواضع لعباد الله والانقياد للحق والعمل الصالح وعلم من هذا الحصر في الآية الكريمة: أن الذين يريدون العلو في الأرض، أو الفساد، ليس لهم في الدار الآخرة نصيب، ولا لهم منها نصيب) انتهى بتصرف.

* وقال ﷺ: «**ماذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**» رواه الإمام أحمد والنسائي والترمذي وابن حبان في صحيحه[1].

* قال المناوي رحمه الله: (فمقصود الحديث أن الحرص على المال والشرف أكثر إفساداً للدين من إفساد الذئبين للغنم، لأن ذلك الأشر والبطر يستفز صاحبه ويأخذ به إلى ما يضره، وذلك مذموم لاستدعائه العلو في الأرض والفساد المذمومين شرعاً.

قال الحكيم: (وضع الله الحرص في هذه الأمة ثم زمه في المؤمنين بزمام التوحيد واليقين، وقطع علائق الحرص بنور السبحات فمن كان حظه من نور اليقين ونور السبحات أوفر، كان حرصه أوثق والحرص يحتاجه الآدمي لكن بقدر معلوم، وإذا لم يكن لحرصه وثاق، وهبت رياحه، واستفزت النفس فتعدى القدر المحتاج إليه فأفسد)[2].

---

(١) صحيح الجامع (٥٦٢٠).
(٢) فيض القدير ٥/ ٤٤٦.

* وقال ﷺ: «**من لبس ثوب شهرة، ألبسه الله ثوباً مثله، ثم يُلهب فيه النار**».

وفي رواية: «**ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة**»[١].

* قال المناوي رحمه الله: (أي يشمله بالذل كما يشمل الثوب البدن في ذلك الجمع الأعظم، بأن يصغره في العيون ويحقره في القلوب، لأنه لبس شهوة الدنيا ليفتخر بها على غيره، فيلبسه الله مثله ثم تلهب فيه النار عقوبة له بنقيض فعله والجزاء من جنس العمل، فأذله الله)[٢].

* وقال ﷺ: «**من طلب العلم ليماري به السفهاء أو يجاري به العلماء أو يصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله في النار**»[٣].

* قال ابن رجب رحمه الله: (من يطلب بالعمل والعلم والزهد الرياسة على الخلق والتعاظم عليهم، وأن ينقاد الخلق ويخضعون له ويصرفون وجوههم إليه، وأن يظهر للناس زيادة علمه على العلماء ليعلو به عليهم ونحو ذلك، فهذا موعده النار لأن قصد التكبر على الخلق محرم في نفسه، فإذا استعمل فيه آلة الآخرة كان أقبح وأفحش من أن يستعمل فيه آلات الدنيا من المال والسلطان)[٤].

* وقال ﷺ: «**إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة وبئست الفاطمة**» رواه البخاري.

* قال ابن حجر رحمه الله: (قال الداوودي: نعم المرضعة أي في الدنيا، وبئست الفاطمة أي بعد الموت، لأنه يصير إلى المحاسبة على ذلك، فهو كالذي

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه، صحيح الجامع (٦٥٢٦).

(٢) فيض القدير (٦/ ٢١٩).

(٣) رواه الترمذي، صحيح الجامع: ٦٣٨٣.

(٤) رسالة شرح حديث " ما ذئبان جائعان (١٨).

يفطم قبل أن يستغني فيكون في ذلك هلاكه.

وقال غيره: نعم المرضعة لما فيها من حصول الجاه والمال ونفاذ الكلمة وتحصيل اللذات الحسية والوهمية حال حصولها، وبئست الفاطمة: عند الانفصال عنها بموت أو غيره وما يترتب عليها من التبعات في الآخرة)[١].

* ومن الآثار الواردة عن السلف رحمهم الله في ذم طلب الشهرة والجاه والرياسة:

* عن عبد الله بن المبارك رحمه الله قال: قال لي سفيان الثوري: إياك والشهرة، فما أتيت أحداً إلا وقد نهاني عن الشهرة[٢].

* وعن إبراهيم والحسن رحمهما الله قالا: كفى بالمرء شراً أن يشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا إلا من عصم الله[٣].

* وعن سفيان الثوري أنه كتب إلى أخ له: (واحذر حب المنزلة، فإن الزهادة فيها أشد من الزهادة في الدنيا)[٤].

* وعن بشر بن الحارث قال: (لا أعلم رجلاً أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح[٥].

* وقال شداد بن أوس ﷺ: (يا بقايا العرب إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية).

قيل لأبي داوود السجستاني: ما الشهوة الخفية؟ قال: (حب الرياسة فهي

---

(١) فتح الباري: ٣/ ١٢٦).
(٢) حيلة الأولياء (٧/ ٢٣).
(٣) حيلة الأولياء (٤/ ٢٤٢).
(٤) حلية الأولياء (٦/ ٣٨٧).
(٥) حلية الأولياء (٨/ ٣٤٣).

خفية تخفى على الناس وكثيراً ما تخفى على صاحبها)[١].

* وقال الغزالي رحمه الله: (اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه، صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفاً بالتودد إليهم والمراءات لأجلهم، ولا يزال في أقواله وأفعاله ملتفتاً إلى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق وأصل الفساد، ويجر ذلك لا محالة إلى التساهل في العبادات والمراءات بها وإلى اقتحام المحظورات للتوصل إلى اقتناص القلوب، ولذلك شبه رسول الله ﷺ حب الشرف والمال وإفسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال عليه السلام: «**إنه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل**» إذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول أو الفعل، وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر إلى النفاق معهم وإلى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها، وذلك عين النفاق)[٢].

* تبين لنا مما تقدم أن حب الجاه والشهرة والرياسة، مقصد ينافي كمال التوحيد ويزاحم الإخلاص ويصرف القلب من إرادة الله تعالى والدار الآخرة إلى إرادة الجاه والشرف والشهرة، ومن تعظيم الله إلى تعظيم الدنيا وأهلها، وهذا ما لم يخلق الخلق من أجله ولم يؤمروا به.

قال سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

من أمثلة طلب الجاه والشهرة والرياسة:

١ ـ حب الثناء والمدح والفرح بذلك والحزن على فقده.

٢ ـ طلب الوظائف والمنافسة عليها ولو أدي ذلك إلى الوقوع في محرمات أو ترك واجبات.

---

(١) فتاوى ابن تيمية ١٦/ ٣٤٦).

(٢) إحياء علوم الدين ٣/ ٣٠٤.

٣ ـ حب الألقاب والأوصاف كالدكتور والشيخ والأستاذ ونحوها بغير قصد التعريف، والغضب عند ذكر اسمه مجرداً منها.

٤ ـ كثرة الدخول على السلاطين والمسؤولين بغرض التزلف إليهم.

٥ ـ محبة الإنسان أن يطاع أمره ولا يعصى، وينفذ قوله ولا يرد ولا يناقش رأيه

٦ ـ محبة الإنسان أن يأتي الناس إليه ويسألوه ويرفعوا إليه حاجاتهم، ويصرف وجوههم إليه، ولو كان من أزهد الناس وأعبدهم وأعلمهم.

٧ ـ محبة الإنسان أن يعظمه الناس ويقبلوا رأسه ويديه ويمشوا خلفه.

٨ ـ الجرأة على الفُتيا، والحرص عليها والإكثار منها.

٩ ـ الحرص على تصدر المجالس وكثرة الجلساء والطلاب، والطعن في المخالفين.

* قال ابن الجوزي رحمه الله: (رأيت أكثر العلماء يتشاغلون بصورة العلم، فهم الفقيه في التدريس، وهم الواعظ الوعظ، فهذا يراعي درسه فيفرح بكثرة من يسمعه، ويقدح في كلام من يخالفه، ويمضي زمانه في التفكر في المتناقضات ليقهر من يجادل، وعينه على التصدر والارتفاع في المجالس.

وربما كانت همته جمع الحطام ومخالطة السلاطين.

والواعظ همته ما يرزق كلامه ويكثر جمعه، ويجلب به قلوب الناس إلى تعظيمه، فإن كان له نظير في شغله، أخذ يطعن فيه.

وهذه قلوب غافلة عن الله عز وجل، إذ لو كانت لها به معرفة لاشتغلت به، وكان أنسها بمناجاته، وإيثارها لطاعاته)[1].

(١) صيد الخاطر (٣٣٥).

قلت: فماذا نقول نحن في هذا الزمان الذي كثر فيه من يدعوا إلى نفسه وحزبه، وقلّ فيه من يدعوا إلى الله تعالى على بصيرة.

نسأل الله أن يعفوا عنا جميعاً وأن يردنا إليه رداً جميلاً.

علاج طلب الجاه والشهرة والرياسة[1]

١ ـ أن نعلم أن طلب الجاه وحب الشهرة والمنزلة في قلوب الناس مقصد يزاحم الإخلاص ويصرف قلب العبد من إرادة ما عند الله تعالى إلى إرادة ما عند المخلوقين من التوقير والاحترام والثناء والمكانة، وبالتالي ينصرف العبد من مراقبة الله تعالى إلى مراقبة الناس والتظاهر أمامهم بصفات الكمال فيدخل بذلك في الرياء ومن ثم في النفاق والعياذ بالله.

٢ ـ أن نعلم أن أرباب الجاه في الدنيا والشهرة والمنزلة، مشغولون بمراعاة قلوب الناس ودفع كيد الحساد ومنع أذى الأعداء لأن كل ذي جاه محسود ومقصود بالأذى، وهي غُموم وهموم عاجلة ومكدرة للذة الجاه، وصدق من قال حب الظهور يقصم الظهور.

٣ ـ أن نعلم أن الجاه في الدنيا ليس من الباقيات الصالحات، بل يذهب بذهاب الدنيا وأهلها، قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٦].

وقال الله عن نبيه عيسى عليه السلام: (وجيهاً في الدنيا والآخرة).

أي ليس في الدنيا فقط.

وقال تعالى عن أصحاب النار: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ﴾ فالمال والسلطان والجاه من أكثر ما يغوي الناس ويدخلهم النار، إلا من أخذها بحقها وعصمه الله من الزلل.

---

(١) انظر إحياء علوم الدين، ٣/ ٣٠٤.

٤ ـ أن يبتعد المسلم عن مجالسة أرباب الجاه وطلاب الشهرة والمنزلة في قلوب الناس ويكثر من مجالسة الصالحين والصادقين خاصة الفقراء والمساكين.

٥ ـ أن يعرف المسلم فضل الخمول والسلامة من الشهرة.

والخمول هو: خفاء الذكر وهو ضد الشهرة.

قال ﷺ: «**إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي**» رواه مسلم.

وقال ﷺ: «**رب أشعث مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره**» رواه مسلم.

وكان ﷺ جالساً في أصحابه فمر رجل على رسول الله ﷺ فقال: «**ما تقولون في هذا؟**» قالوا: حري إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع وإن قال أن يسمع، ثم سكت.

فمر رجل من فقراء المسلمين، فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا: حري إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يسمع. فقال رسول الله ﷺ: «**هذا خير من ملء الأرض مثل هذا**» رواه البخاري.

٦ ـ أن يبتعد المسلم قدر الإمكان عن المواطن التي يُعرف فيها ويخدم من أجل دينه وشهرته كما ثبت عن بعض السلف.

دخل عبد الله بن محيريز رحمه الله، حانوتاً وهو يريد أن يشتري ثوباً، فقال رجل لصاحب الحانوت: هذا ابن محيريز فأحسن بيعه! فغضب ابن محيريز وخرج وقال: إنما نشتري بأموالنا، لسنا نشتري بديننا[1].

٧ ـ أن نعلم أن حب الجاه والمنزلة متأصل في النفس فهو أشد من حب المال لأن المال يبذل في سبيل تحصيله فيجب الحذر، كما أنه الشهوة الخفية

(١) صفة الصفوة: ٤/ ٢٠٦)

التي تخفى على كثير من المخلصين ولذلك قيل: (آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة).

٨ ـ أن يعمل العبد على إغناء نفسه وإعفافها والاستغناء عن الناس، فيما في أيديهم، قال ﷺ في الحديث: «**استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك**»[1].

٩ ـ أن نعلم أن من اشتغل بطلب شرف الآخرة ونعيمها أعطاه الله شرف الدنيا وسعادتها والحياة الطيبة فيها والقبول لدى الصالحين من أهلها، مع ما يدخره الله له يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾ [مريم: ٩٦]، أي: مودة في قلوب الناس.

وقال ﷺ: «**إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل: إني أحب فلاناً، فيحبه جبريل ثم يحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض**» رواه البخاري.

١٠ـ أن نعلم أن الخافض والرافع هو الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء﴾ [آل عمران: ٢٦].

ووصف الله تعالى يوم القيامة بقوله تعالى: ﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾.

فالعزيز من أعزه الله والذليل من أذله الله ﷻ.

نسأل الله تعالى أن يعزنا بطاعته ولا يذلنا بمعصيته وأن يجعل حظنا الأوفر يوم نلقاه إنه بر رؤوف رحيم.

---

(١) رواه البزار والطبراني، صحيح الجامع (٩٤٧)، ومعناه تعففوا عن سؤال الناس واستغنوا عنهم ولو بفتات السواك الذي يتساقط منه.

ألا إنما التقوى هي العز والكرم وحبك للدنيا هو الذل والسقم
وليس على عبد تقي نقيصة إذا حقق التقوى وإن حاك أو حجم

١١ـ أن يجتهد المسلم قدر الإمكان في عدم سماع مدحه والثناء عليه.

١٢ـ أن يعظ الإنسان نفسه ويزجرها ويذكرها بحقيقتها وضعفها وفقرها، كلما رأى منها شيئًا من حب الجاه والشهرة والرياسة، وأنه ليس بشيء لولا فضل الله عليه ورحمته سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

مزالق وتنبيهات
في علاج حب الجاه والشهرة والرياسة

١ ـ عدم التفريق بين حب الرئاسة والولاية وبين حب الإمارة لأجل الدعوة إلى الله تعالى:

قال ابن القيم، رحمه الله: (والفرق بين حب الرياسة وحب الإمارة للدعوة إلى الله هو الفرق بين تعظيم أمر الله والنصح له وتعظيم النفس والسعي في حظها، فإن الناصح لله المعظم له المحب له، يحب أن يطاع ربه فلا يعصي وأن تكون كلمته هي العليا وأن يكون الدين كله لله وأن يكون العباد ممتثلين أوامره مجتنبين نواهيه فقد ناصح الله في عبوديته وناصح خلقه في الدعوة إلى الله فهو يحب الإمامة في الدين، بل يسأل ربه أن يجعله للمتقين إماماً، يقتدي به المتقون كما اقتدى هو بالمتقين، فإذا أحب هذا العبد الداعي إلى الله أن يكون في أعينهم جليلاً وفي قلوبهم مهيباً وإليهم حبيباً وأن يكون فيهم مطاعاً لكي يأتموا به ويقتفوا أثر الرسول على يده، لم يضره ذلك بل يحمد عليه، لأنه داع إلى الله، يحب أن يطاع ويعبد ويوحد، فهو يحب ما يكون عوناً على ذلك موصلاً إليه، ولهذا ذكر سبحانه عباده الذين اختصهم لنفسه وأثنى عليهم في تنزيله وأحسن جزائهم يوم لقائه فذكرهم بأحسن أعمالهم وأوصافهم، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ [الفرقان: ٧٤]، هذا بخلاف طلب الرياسة فإن طلابها يسعون في تحصيلها لينالوا أغراضهم من العلو في الأرض وتعبد القلوب لهم وميلها إليهم ومساعدتهم لهم على جميع أغراضهم مع كونهم عالين عليهم قاهرين لهم، فترتب على هذا

المطلب من المفاسد ما لا يعلمه إلا الله من البغي والحسد والطغيان والحقد والظلم والفتنة والحمية للنفس دون حق الله وتعظيم من حقره الله، واحتقار من أكرمه الله، ولا تتم الرياسة الدنيوية إلا بذلك...)[١].

٢ ـ ممارسة أعمال يلام عليها حتى يسقط من أعين الناس:

المذموم هو حب الجاه والشهرة بين الناس وطلبها، وأما وجودها من جهة الله تعالى من غير طلب الإنسان فليس بمذموم، مع عدم خلو ذلك من الفتنة على الضعفاء.

* قال البيهقي رحمه الله: (والمذموم طلب الإنسان الشهرة، وأما وجودها من جهة الله تعالى من غير طلب الإنسان فليس بمذموم، غير أن في وجودها فتنة على الضعفاء فإن الضعيف كالغريق القليل الصنعة في السباحة، إذا تعلق به أحد غرق وغرقه. فأما السابح النحرير، فإن تعلق الغرقى به سبب لنجاتهم وخلاصهم)[٢].

ولذلك لا يجوز للمسلم أن يمارس بعض الأعمال المحرمة أو المذمومة بقصد إسقاط نفسه من أعين الناس وذهاب مكانته من قلوبهم.

كمن يلبس ثياباً لا تليق به، أو يشرب شراباً حلالاً في قدح لونه لون الخمر، أو يمارس بعض المباحات التي لا تليق بمثله، أو يعتزل الناس والبلد الذي هو مشهور به، أو يتفوه ببعض الكلمات والأشعار التي لا تليق بمثله، وغير ذلك مما يسقطه من أعين الناس ويجعله ممقوتاً.

وقد وصل الأمر أن ظهرت في المسلمين جماعة تسمى بـ (الملامية)، وهم الذين يفعلون ما يلامون عليه ويقولون نحن متبعون في الباطن، وذلك هرباً من

(١) كتاب الروح، ص: ٢٢٧ ـ ٢٢٨.
(٢) الزهد الكبير (١٢٢).

الرياء والجاه والشهرة، فوقعوا في باطل آخر نسأل الله السلامة والعافية[١].

وهذا كله بلا شك لا يجوز شرعاً ولا عقلاً، بل إنه يوهن الدين في قلوب المسلمين، إذا رأوا أهل الدين والاستقامة في تلك الأحوال المشينة والواجب على من جعل الله له جاهاً وقبولاً عند الناس أن يسأل الله أن يجعله عوناً على طاعته وأن لا يتعلق قلبه بذلك لأن الجاه والشهرة لا يطلب ولا يحب لذاته وإنما يستعان به على طاعة الله ويبذل في سبيل نصرة دينه ونفع عباده[٢].

٣ـ عدم التفريق بين الحرص على الرياسة وطلبها، وبين إعطائها له من غير طلب:

قال ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة: «**يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها**» رواه البخاري ومسلم.

*** مسألة:**

هل يجوز أن يطلب الإنسان الولاية أو الوظيفة إذا لم يوجد من يكفيه، وهل يتعارض هذا مع ذم طلب الإمارة والولاية؟

* قال القرطبي رحمه الله في تفسيره عند قوله تعالى عن نبيه يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

(يوسف عليه السلام إنما طلب الولاية لأنه علم أنه لا أحد يقوم مقامه في العدل والإصلاح وتوصيل الفقراء إلى حقوقهم، فرأى أن ذلك فرض متعين عليه فإنه لم يكن هناك غيره، وهكذا الحكم اليوم لو علم إنسان من نفسه أنه يقوم بالحق

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية : ٣٥/ ١٦٤.
(٢) انظر إحياء علوم الدين ٣/ ٣٠٤.

في القضاء أو الحسبة ولم يكن هناك من يصلح ولا يقوم مقامه لتعين ذلك عليه، ووجب أن يتولاها ويسأل ذلك، ويخبر بصفاته التي يستحقها به من العلم والكفاية وغير ذلك كما قال يوسف عليه السلام. فأما لو كان هناك من يقوم بها ويصلح لها وعلم بذلك فالأولى ألا يطلب، لقوله عليه السلام لعبد الرحمن: «**لا تسأل الإمارة**»، وأيضاً فإن في سؤالها والحرص عليها مع العلم بكثرة آفاتها وصعوبة التخلص منها دليلاً على أنه يطلبها لنفسه ولأغراضه، ومن كان هكذا يوشك أن تغلب عليه نفسه فيهلك، وهذا معنى قوله عليه السلام: «**وكل إليها**»، ومن أباها لعلمه بآفاتها ولخوفه من التقصير في حقوقها فر منها، ثم إن ابتلي بها فيرجى له التخلص منها وهو معنى قوله: «**أعين عليها**»).

* وقال النووي رحمه الله في كتاب رياض الصالحين: (باب النهي عن سؤال الإمارة واختيار ترك الولايات إذا لم يتعين عليه أو تدع حاجة.

* وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في جواب له عن هذه المسألة: (المناصب الدينية من القضاء والتعليم والفتوى والخطابة، مناصب شريفة ومهمة، والمسلمون في أشد الحاجة إليها وإذا تخلى عنها العلماء، تولاها الجهال فضلوا وأضلوا فالواجب على من دعت الحاجة إليه من أهل العلم والفقه في الدين أن يمتثل،لأن هذه الأمور من القضاء والتدريس والخطابة والدعوة إلى الله وأشباه ذلك من فروض الكفايات فإذا تعينت على أحد من المؤهلين، وجب عليه ولم يجز له الاعتذار والامتناع منها.

ثم لو قدر أن هناك من يظهر أنه يكفي، وأنها لا تجب عليه هذه المسألة، فينبغي له أن ينظر الأصلح، كما ذكر الله سبحانه عن يوسف عليه الصلاة والسلام، لما رأى المصلحة في توليه طلب الولاية، فطالب العلم، إذا رأى المصلحة في ذلك طلب الوظيفة ورضي بها قضائية أو تدريساً أو وزارة أو غير

ذلك، على أن يكون قصده الإصلاح والخير، وليس قصده الدنيا، وإنما يقصد وجه الله، وحسن المآب في الآخرة وأن ينفع الناس في دينهم أولاً ثم في دنياهم ولا يرضى أن يتولى المناصب الجهال والفساق، ومع النية الصالحة والصدق في العمل يوفق العبد ويعان على ذلك إذا أصلح لله نيته وبذل وسعه في الخير وفقه الله.

ومن هذا الباب حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي ﷺ أنه قال: «**يا رسول الله اجعلني إمام قومي، فقال النبي ﷺ، أنت إمامهم واقتد بأضعفهم، واتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً**»[1].

فطلب ﷺ إمامة قومه للمصلحة الشرعية ولتوجيههم للخير وتعليمهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، مثلما فعل يوسف عليه الصلاة والسلام.

قال العلماء: إنما نهي عن طلب الإمرة والولاية، إذا لم تدع الحاجة إلى ذلك، لأنه خطر كما جاء في الحديث النهي عن ذلك، لكن متى دعت الحاجة والمصلحة الشرعية إلى طلبها جاز ذلك، لقصة يوسف عليه الصلاة والسلام، وحديث عثمان ﷺ المذكور)[2].

٤ ـ عدم التفريق بين التجمل وحب الشهرة: ليس من حب الشهرة أو طلبها أن يتجمل الإنسان بما رزقه الله وأن يظهر أثر نعمة الله عليه في مختلف شؤون حياته إذا لم يصاحب ذلك حب الشهرة والفخر والخيلاء بين الناس.

قال ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال**» رواه مسلم وغيره.

---

(١) رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وصححه الألباني رحمه الله، صحيح أبي داود (٤٩٧).

(٢) فتاوى البلد الحرام (١٢٥٩) بتصرف يسير، وانظر اتماماً للفائدة فتح ذي الجلال والإكرام شرح بلوغ المرام للشيخ محمد العثيمين رحمه الله (٢/ ٢٠٨ ـ ٢١٦).

وقال ﷺ: «**إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**» رواه الترمذي والحاكم[١].

٥ـ ليس من حب الشهرة أن يحب الإنسان المخلص لله تعالى بقاء وإعلاء ذكره في الخير بعد مماته، لما يرجوه من دعاء الناس له والاقتداء به.

قال الله تعالى عن نبيه وخليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

* قال الإمام مالك رحمه الله: (لا بأس أن يحب الرجل أن يثنى عليه صالحاً ويرى في عمل الصالحين إذا قصد به وجه الله تعالى) انظر تفسير القرطبي عند تفسير الآية السابقة.

قلت إعلاء الذكر بالخير نعمة يمن الله تعالى بها على من يشاء من عباده، وقد امتن الله بها على نبيه ﷺ فقال سبحانه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤].

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان
فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثان

جعلنا الله بمنه وفضله مفاتيح للخير هداة مهتدين أئمة للمتقين.

(١) صحيح الجامع: (١٨٨٧).

٣- العجب والإعجاب

العجب في اللغة: هو الزهو والكبر.

ورجل معجب: مزهو بما يكون فيه حسناً أو قبيحاً وقد أعجب فلان بنفسه، فهو معجب برأيه وبنفسه.

* قال الحارث المحاسبي رحمه الله: (العجب بالدين حمد النفس على ما عملت أو علمت ونسيان النعم من الله عز وجل عليك بذلك، فحمد النفس ونسيان النعم هو العجب بالدين)[١].

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[٢]: (وكثيراً ما يقرن الناس بين الرياء والعجب، فالرياء من باب الإشراك بالخلق، والعجب من باب الإشراك بالنفس. فالمرائي لا يحقق قوله تعالى: ﴿إياك نعبد﴾. والمعجب لا يحقق قوله ﴿إياك نستعين﴾.

* وقال النووي رحمه الله[٣]: (واعلم أن الإخلاص قد يعرض له آفة العجب، فمن أعجب بعمله حبط عمله وكذلك من استكبر حبط عمله).

* وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله، في ذكر أسباب الغفلة والأمن من مكر الله: (والسبب الثاني أن يكون العبد عابداً جاهلاً معجباً بنفسه مغروراً بعمله، فلا يزال به جهله حتى يدلِ[٤] بعمله، ويزول الخوف عنه، ويرى أن له عند الله المقامات العالية، فيصير آمناً من مكر الله، متكلاً على نفسه الضعيفة

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٨/ ٤٠٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/ ٢٧٧.

(٣) شرح الأربعين للنووي، الحديث الأول.

(٤) يدل : أي يمن بعمله على ربه تعالى ويعجب به.

المهينة، ومن ههنا يُخذل ويُحال بينه وبين التوفيق، إذ هو الذي جنى على نفسه، فبهذا التفصيل تعرف منافاة هذه الأمور للتوحيد)[1].

* وبهذا يتضح لنا أن المعجب بنفسه لا يحمد الله ولا يشكره حقيقة، وإنما يحمد نفسه وينسب لها الفضل في كل شيء وهذا هو الإشراك بالنفس كما مر معنا.

كما أن المعجب بنفسه لا يحقق الافتقار والذل لله تعالى والاستعانة به سبحانه في كل شيء، وهذا هو شرك الأسباب.

* قال تعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢].

قال المفسرون: (كان الناس يعملون أعمالاً حسنة ثم يقولون، قد صمنا وصلينا وحجينا وجاهدنا فأنزل الله هذه الآية) انظر تفسير ابن كثير والبغوي عند هذه الآية.

* وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره عند هذه الآية: (مختال فخور أي: مختال معجب في نفسه، فخور على غيره).

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسيره عند هذه الآية: (ولا تمش في الأرض مرحاً: أي بطراً فخراً بالنعم ناسياً المنعم، معجباً بنفسك.

إن الله لا يحب كل مختال فخور: أي في نفسه وهيئته وتعاظمه، فخور بقوله).

* وقد عد النبي ﷺ العجب من المهلكات، فقال ﷺ في الحديث: «**وثلاث**

(١) القول السديد، ص : ٣٧.

مهلكات: هوى متبع، وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه» رواه البيهقي في شعب الإيمان[١].

* وقال ﷺ: «**لو لم تكونوا تذنبون لخفت عليكم ما هو أكبر من ذلك: العجب العجب**» رواه البيهقي في شعب الإيمان[٢].

❁ وقال ﷺ: «**بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مرجل جمته، إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة**» متفق عليه.

الجمة: هي شعر الرأس.

يتجلجل: أي يغوص في الأرض.

* وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[٣]: «الهلاك في شيئين: العجب والقنوط».

* وقال مطرف بن عبد الله الشخير: (لأن أبيت نائماً وأصبح نادماً، أحب إلي من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً).

قال الذهبي معلقاً على ذلك: (لا أفلح والله من زكى نفسه أو أعجبته)[٤].

* وكان محمد بن واسع يقول: واصحباه، ذهب أصحابي فقيل له: رحمك الله أبا عبد الله، أليس قد نشأ شباب يصومون النهار ويقومون الليل ويجاهدون في سبيل الله؟ قال: ولكن إخ ـ وتفل ـ أفسدهم العجب)[٥].

* وقال إبراهيم بن أدهم: (على القلب ثلاثة أغطية: الفرح، والحزن، والسرور، فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص والحريص محروم، وإذا حزنت

---

(١) انظر صحيح الجامع (٣٠٣٩).

(٢) صحيح الجامع (٥٣٠٣).

(٣) إحياء علوم الدين ٣/ ٣٨٩

(٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ١٩٠).

(٥) حلية الأولياء (٢/ ٣٥٢).

على المفقود: فأنت ساخط، والساخط معذب، وإذا سررت بالمدح: فأنت معجب، والعجب يحبط العمل، ودليل ذلك كله قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[١].

* وقال الفضيل بن عياض لابنه علي: (يا بني لعلك ترى أنك مطيع، لصرصر من صراصر الحش أطوع لله منك)، يعني بالصرصر: الذي يصيح بالليل، والحش: الحمام مكان الخلاء[٢].

* وقال عبد الله بن المبارك: (لا أعلم في المصلين شيئاً شراً من العجب)[٣].

* وقال الغزالي رحمه الله: (اعلم أن العجب مذموم في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥] وذكر ذلك في معرض الإنكار، وقال عز وجل: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر: ٢] فرد على الكفار في إعجابهم بحصونهم وشوكتهم، وقال تعالى:﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ [الكهف: ١٠٤]، وهذا أيضاً يرجع إلى العجب بالعمل.

* وقال رحمه الله كذلك: (اعلم أن آفات العجب كثيرة، فإن العجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه، فيتولد من العجب الكبر، ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى، هذا مع العباد، وأما مع الله تعالى فالعجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها، فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه أنه مستغن عن تفقدها

(١) حلية الأولياء(٨/ ٣٤).
(٢) حلية الأولياء (٩/ ٢٨٢).
(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٨).

فينساها، وما يتذكره منها فيستصغره ولا يستعظمه، فلا يجتهد في تداركه وتلافيه، بل يظن أنه يغفر له، وأما العبادات والأعمال فإنه يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها، ونسي نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها، ثم إذا عجب بها، عمي عن آفاتها، ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سعيه ضائعاً، والمعجب يغتر بنفسه وبرأيه ويأمن مكر الله وعذابه، ويظن أنه عند الله بمكان، وأن له عند الله منة وحقاً بأعماله التي هي نعمة وعطية من عطاياه سبحانه، ويخرجه العجب إلى أن يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها، وإن أعجب برأيه وعمله وعقله منع ذلك من الاستفادة من الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورأيه ويستنكف من سؤال من هو أعلم منه، وربما يعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره، ولا يفرح بخواطر غيره، فيصر عليه ولا يسمع نصح ولا وعظ واعظ، بل ينظر إلى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطئه، وكذلك فإن المعجب يفتر في السعي لظنه أنه قد فاز وأنه قد استغنى، وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه، نسأل الله تعالى العظيم حسن التوفيق لطاعته)[1].

* قال ابن القيم رحمه الله: (فإن المعجب لا يصعد له عمل، وإنك أن تضحك وأنت معترف خير من أنك تبكي وأنت مدل، وأنين المذنبين أحب إلى الله من زجل المدلين)[2].

فائدة:

مما يلحق بالعجب والإعجاب، ما يكون بين بعض الناس من المحبة المفرطة إلى درجة العشق والتعلق، وهو ما يسمى بالإعجاب.

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠) (بتصرف).
(٢) مدارج السالكين، (١/ ١٩٥).

فترى أحدهم يعجب بصاحبه أو معلمه أو تلميذه إلى درجة الافتتان به.

وترى فتاة تعجب بصاحبتها أو معلمتها أو تلميذتها إلى درجة الافتتان بها.

بالإضافة إلى ما يكون بين الجنسين من العشق والإفراط في المحبة.

وقد زين الشيطان هذا العشق والتعلق بالصور لهؤلاء الناس بدعوى الحب في الله ولكنه في الحقيقة قد انقلب إلى الحب مع الله تعالى ولغير الله وليس في الله ولله.

وهذه محبة شركية، نسأل الله السلامة والعافية.

قال ابن القيم رحمه الله: (العشق هو الإفراط في المحبة بحيث يستولي المعشوق على قلب العاشق حتى لا يخلوا من تخيله وذكره والفكر فيه، بحيث لا يغيب عن خاطره وذهنه، فعند ذلك تشتغل النفس عن استخدام القوى الحيوانية والنفسانية فتتعطل تلك القوى، فيحدث بتعطيلها من الآفات على البدن والروح ما يعز دواؤه ويتعذر، فتتغير أفعاله وصفاته ومقاصده ويختل جميع ذلك، فتعجز البشر عن صلاحه)[1].

وكما مر معنا فإن المحبة عبادة يجب صرفها كاملة لله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فأصحاب العشق الذي يحبه الشيطان فيهم من تولي الشيطان والإشراك به بقدر ذلك، لما فاتهم من إخلاص المحبة لله والإشراك بينه وبين غيره في المحبة، حتى يكون فيه نصيب من اتخاذ الأنداد، وحتى يصيروا عبيداً لذلك المعشوق فيفنون فيه ويصرحون بأنهم عبيد له،

(١) الداء والدواء (٣٢٨).

فيوجد في هذا الحب والهوى واقتراف ما يبغضه الله، وما حرمه من الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق، وأن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، وأن يقولوا على الله ما لا يعلمون، فيوجد فيه من الشرك الأكبر والأصغر ومن قتل النفوس بغير حق ومن الزنا ومن الكذب ومن أكل المال بالباطل، إلى غير ذلك ما ينتظم هذه الأصناف التي يكرهها الله تعالى، لأن أصله أن يكون حبه كحب الله، وهو من ترك إخلاص المحبة ومن الإشراك بينه وبين غيره أو من جعل المحبة لغير الله فإذا عمل موجب ذلك كان ذلك هو إتباع الهوى بغير هدى من الله، ولهذا لا يبتلى بهذا العشق إلا من فيه نوع شرك في الدين وضعف إخلاص لله)[١].

* قال ابن القيم رحمه الله: (ولا ريب أن هذا العشق من أعظم الشرك، وكثيراً من العشاق يصرح بأنه لم يبق في قلبه موضع لغير معشوقه البته، بل قد ملك معشوقه عليه قلبه كله فصار عبدا محضاً من كل وجه لمعشوقه، فقد رضي هذا من عبودية الخالق جل جلاله بعبودية مخلوق مثله، فإن العبودية هي كمال الحب والخضوع، وهذا قد استفرغ قوة حبه وخضوعه وذله لمعشوقه، فقد أعطاه حقيقة العبودية)[٢].

من صور وأمثلة العجب[٣]:

١ ـ أن يعجب ببدنه في جماله وهيئته وصحته وقوته وحسن صورته وحسن صوته، فيلتفت إلى جمال نفسه وينسى أنه من نعم الله تعالى عليه.

٢ ـ أن يعجب بعقله وتفطنه لدقائق الأمور من مصالح الدنيا والدين فيترك

(١) كتاب قاعدة في المحبة (١٤٧ ـ ١٤٨) بتصرف يسير.

(٢) الداء والدواء (٣٢٤).

(٣) انظر إحياء علوم الدين ٣/ ٣٩٤.

المشورة ويعرض عن أهل العلم.

٣ ـ أن يعجب بنسبه الشريف، فيظن أنه ينجو بشرف نسبه ونجاة آبائه وانه مغفور له.

٤ ـ أن يعجب بكثرة العدد من الأولاد والخدم والغلمان والعشيرة والأقارب والأنصار والأتباع، وبكثرة الأموال والممتلكات.

٥ ـ أن يعجب بعباداته، فيستعظمها ويمن بها على الله تعالى ويزكي نفسه ويحقر ذنوبه وتقصيره، فيحمد نفسه وينسى خالقه ورازقه الذي وفقه لكل خير.

علاج العجب[1]:

١ـ أن يعرف العبد يقيناً أن العجب ينافي الإخلاص وأنه من محبطات الأعمال، فيجب الحذر منه

٢ ـ أن نعلم أن العجب طريق إلى الكبر والتكبر لا محالة.

وقد قال ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» رواه مسلم.

٣ ـ أن نعلم أن المعجب بنفسه لا يحقق قوله تعالى: (إياك نستعين) كما مر معنا وهي منزلة التوكل على الله وإظهار الافتقار إليه سبحانه والاعتراف بالعجز والتقصير، وهذه من أخص مظاهر العبودية لله تعالى.

٤ ـ مطالعة عيوبه وآفاته وتقصيره، وما فيه من حظ النفس ونصيب الشيطان، فقلَّ عمل من الأعمال إلا وللشيطان فيه نصيب وإن قلَّ وللنفس فيه حظ، والعجب يمنع من الاعتراف بالخطأ ومحاسبة النفس ويؤدي إلى بغض الناصحين وعدم قبول كلامهم.

٥ ـ مشاهدة العبد لمنة الله عليه وفضله وتوفيقه، وأنه بالله لا بنفسه، وأنه إنما

(١) انظر بعض هذه العلاجات في إحياء علوم الدين : ٣/ ٣٩٤.

أوجب عمله مشيئة الله، لا مشيئته هو، فكل خير مجرد فضل الله ومنته، الذي وفقه وأعانه ويسر له وأمده بالقوة والإرادة والأعضاء وسائر الأسباب التي يتم عمله بها ولولا ذلك لما استطاع أبداً.

قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ [النحل: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿وما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

فالعجب يؤدي إلى الإدلاء على الخالق سبحانه وإيذاء الخلق فيصبح المعجب بنفسه مبغوضًا عند الله تعالى وعند خلقه، وهذه من أقبح المنازل، نسأل الله السلامة والعافية.

٦ـ الاستعانة بالله تعالى بالدعاء والتضرع والإلحاح في ذلك.

٧ـ الإكثار من مجالسة الصالحين، والحذر والبعد عن مجالسة أهل العجب والغرور.

٨ـ أن يعلم العبد أن الله قد كتب مقادير الخلائق وما هو كائن إلى يوم القيامة قبل أن يخلق الله السموات والأرض بخمسين ألف سنة، كما أخبر النبي ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم.

فكيف يعجب الإنسان بشيء قد كتبه الله وقدره وينسب الفضل فيه إلى نفسه، وإنما هو وعاء وآلة لعمله، ومشيئته وقدرته لا تخرج عن مشيئة الله تعالى وقدره.

٩ـ أن يعلم العبد أن ما قد يعجب به ويزهو به ويتكبر به على الآخرين، ليس له عند الله قدر، ولم يجعله الله تعالى من أسباب الفلاح والنجاة يوم القيامة، كالإعجاب بالجمال والنسب واللون وما شابهها.

١٠ـ التفكر في عواقب ونتائج العجب والغرور، كما مر معنا، وأنه من

أسباب الخسارة والهزيمة ومقت الله وعذابه في الدنيا والآخرة.

قال تعالى عن قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ [الكهف: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً﴾ [فاطر: ٨].

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً﴾التوبة: ٢٥

وقال تعالى عن سبب غواية إبليس الرجيم أنه قال: ﴿ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾الأعراف: ١٢

١٠ ـ أن نعلم يقيناً أن الأعمال هي مجرد أسباب لمرضاة الله تعالى ودخول الجنة، والله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه سبحانه صواباً على سنة رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

وقال تعالى عن أهل الجنة: ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٤٦].

وقال ﷺ: «**لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول، قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل رحمته**» متفق عليه.

١٢ـ الإكثار من الاستغفار والتوبة وتذكر الذنوب والتقصير فإن ذلك يذكر العبد بإذن الله بفقره وحاجته إلى رحمة ربه وعدم الغفلة عن ذلك.

١٣ـ أن يعلم العبد أنه مهما بلغ من قوة في عقله أو رأيه وجهده، فإنه ضعيف خلق من ضعف وسيؤول إليه، فحمى يوم كفيلة بأن تربكه وتظهر ضعفه، وتخور بها قواه وتتعطل أعماله.

وعلى كل حال:

فالواجب الحذر من العجب فقد قيل: إنك إن كنت عابداً أحبط ثواب عبادتك وأغلق عليك باب الازدياد.

وإن كنت متصدقاً أذهب أجر صدقتك وجعلك ممتناً على الله بما أعطاك من الزاد.

وإن كنت متواضعاً غرس في قلبك بذرة الكبر وحرمك رفعة رب العباد.

وإن كنت عالماً ألقى في أمنيتك الغرور وجعل فتنتك عبرة للعباد.

وإن كنت قوياً دفعك إلى التعدي ومن يتعد كان له ربه بالمرصاد.

وإن كنت ذا سلطة أصابك بجنون العظمة فتستوجب عليك نقمة رب العباد.

مزالق وتنبيهات في علاج العجب

ليس من العجب أن يفرح المؤمن ويسر بنعمة الله عليه وتوفيقه له في فعل بعض العبادات أو ترك بعض المحرمات مع نسبة ذلك كله إلى الله تعالى وحده فهو المنعم والموفق والهادي سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

وقال ﷺ: «**من سرته حسنته، وساءته سيئته فهو مؤمن**». رواه الإمام أحمد والترمذي والطبراني[1].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: «**أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟ قال: تلك عاجل بشرى المؤمن**» رواه مسلم.

* قال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله: (فإن قال قائل: إذا فرغ الإنسان من العبادة وسمع الناس يثنون عليه وفرح بهذا، فهل يضره؟

فالجواب: لا يضره، لأن العبادة وقعت سليمة، وكون الناس يثنون عليه هذا من عاجل بشرى المؤمن أن يكون محل الثناء من الناس لكن هذا بعد أن ينتهي من العبادة نهائياً، وإذا سمع الناس يثنون عليه فيقول: الحمد الله الذي جعلني محل الثناء بالخير.

كذلك أيضاً لو أن الإنسان فعل العبادة ولما انتهى منها، سر بها، فلا نقول هذا السرور إعجاب يبطل العمل، لأن الإعجاب أن الإنسان إذا فرغ من العبادة أعجب بنفسه وأدلى على الله بها ومنَّ على الله بها، هذا هو الذي يبطل عمله

(١) صحيح الجامع (٦٢٩٤)(٢٥٤٦).

والعياذ بالله، لكن هذا الإنسان لم يخطر على باله هذا ولكن حمد الله وفرح أن وفقه الله إلى الخير، فهذا لا يضره[١].

وقد يفرح الإنسان بإطلاع الناس على عبادته وثناءهم، مع ما قصده من إخفاء الطاعة والإخلاص لله تعالى، مستدلاً بذلك على أمور منها[٢]:

١ـ أن الله تعالى هو الذي أطلعهم على ذلك الجميل وستر منه القبيح، فدل ذلك على حسن صنع الله تعالى به.

٢ـ أن يستدل بذلك على أن الله تعالى يستره كذلك في الآخرة، كما قال ﷺ: «**لا يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره يوم القيامة**» رواه مسلم.

٣ـ أن يرجوا رغبة المطلعين على الاقتداء به فيتضاعف بذلك أجره بإذن الله.

٤ـ أن فرح الناس وثنائهم وحبهم وميل قلوبهم إلى الخير والطاعة وأهل الصلاح طاعة لله تعالى ومما يبشر بالخير، إذ من الناس من يهزأ بالصالحين ويمقتهم ويتهمهم دائماً بالرياء.

وأما أن يكون فرح الإنسان لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالإكرام في مصادره وموارده، هذا فرح مذموم منهي عنه كما مر معنا.

---

(١) شرح رياض الصالحين : (٦/ ٣٤٣).

(٢) انظر إحياء علوم الدين : ٣/ ٣٢٣، جامع العلوم والحكم ": ١/ ٥٤.

٤- إتباع الهوى

المقصود بالهوى عند الإطلاق، هو الهوى المذموم الباعث على المعصية.

وأما ما كان تبعاً لما جاءت به الشريعة فهو هوى محمود.

والهوى: مصدر يهوى هوىً، أي أحب، وهوى النفس إرادتها.

والهوى: محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه[١].

* قال ابن فارس: (الهاء والواو والياء، أصل صحيح يدل على خلو وسقوط، أصله الهواء بين الأرض والسماء....

وأما هوى النفس فمن المعنيين جميعاً، لأنه خال من كل خير ويهوي بصاحبه فيما لا ينبغي[٢].

* وقال الجرجاني: (الهوى: ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع)[٣].

* قال ابن رجب رحمه الله: (فهذا يدل على أن محبة ما يكرهه الله، وبغض ما يحبه الله، متابعة للهوى والموالاة على ذلك والمعاداة عليه: من الشرك الخفي ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فجعل علامة الصدق في محبته: إتباع رسوله، فدل على أن المحبة لا تتم بدون الطاعة والموافقة)[٤].

* وقال رحمه الله كذلك: (وكذلك إتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه، قادح

---

(١) لسان العرب ٣/ ٨٤٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة : هوا.

(٣) التعريفات للجرجاني، ص ٢٧٤، باب الهاء.

(٤) جامع العلوم والحكم ١/ ٢٠٠.

في تمام التوحيد وكماله. ولهذا أطلق الشرع على كثير من الذنوب التي منشؤها من إتباع هوى النفس بما هو كفر وشرك: كقتال المسلم، ومن أتى حائضاً، أو امرأة في دبرها، ومن شرب الخمر في المرة الرابعة، وإن كان ذلك لا يخرجه عن الملة بالكلية.

فأما من قال لا إله إلا الله بلسانه ثم أطاع الشيطان وهواه في معصية الله ومخالفته فقد كذب فعله قوله ونقص من كمال توحيده بقدر معصية الله في طاعة الشيطان والهوى.

فيا هذا كن عبد الله لا عبد الهوى فإن الهوى يهوي بصاحبه في النار، والله ما ينجو غداً من عذاب الله إلا من حقق عبودية الله وحده ولم يلتفت معه إلى شيء من الأغيار، من علم أن إلهه ومعبوده فرداً فليفرده بالعبودية....

وقوله: لا إله إلا الله تقتضي ألا يحب سواه فإن الإله هو الذي يطاع، محبة وخوفاً ورجاءاً، ومن تمام محبته محبة ما يحبه، وكراهة ما يكرهه الله، فمن أحب شيئاً مما يكرهه الله، أو كره شيئاً مما يحبه الله، لم يكمل توحيده ولا صدقه في قوله لا إله إلا الله، وكان فيه من الشرك الخفي بحسب ما كرهه مما يحبه الله وما أحبه مما يكرهه)[1].

* وقال ابن القيم رحمه الله: (التوحيد واتباع الهوى متضادان، فإن الهوى صنم ولكل عبد صنم في قلبه بحسب هواه، وإنما بعث الله رسله بكسر الأصنام وعبادته وحده لا شريك له، وليس مراد الله سبحانه كسر الأصنام المجسدة وترك الأصنام التي في القلب، بل المراد كسرها من القلب أولاً)[2].

---

(١) رسالة كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، أو كتاب التوحيد، وكلاهما لابن رجب رحمه الله (٥٢ ـ ٥٩) (بتصرف).

(٢) روضة المحبين (٣٤٠).

* وقال الشيخ محمد العثيمين، رحمه الله: (كل ما كان وسيلة للشرك فهو شرك، وربما نقول على هذا التعريف: أن المعاصي كلها شرك أصغر لأن الحامل عليها الهوى، وقد قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣]، ولهذا أطلق النبي ﷺ الشرك على تارك الصلاة مع أنه لم يشرك فقال: «**بين الرجل وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة**»[١].

* وبهذا يتضح لنا أن الهوى المذموم هو: كل ما خالف الحق من الأقوال والأفعال والمقاصد استجابة لرغبات النفس وشهواتها وحظوظها المحرمة، وقد عد كثير من السلف إتباع الهوى شركًا، قال بعضهم: شر إله عبد في الأرض الهوى[٢].

* وقد ورد ذكر الهوى في القرآن الكريم في أكثر من ستة وعشرين موضعاً كلها جاءت في معرض الذم له ولمتبعيه، كما قال ابن عباس رضي الله عنه: (ما ذكر الله الهوى في كتابه إلا ذمه)[٣] فمن ذلك:

* قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

* وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾ [الكهف: ٢٨].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسيره عند هذه الآية: (ودلت الآية على أن الذي ينبغي أن يطاع ويكون إماماً للناس، من امتلأ قلبه بمحبة الله

(١) القول المفيد (١/ ٢٠٦).
(٢) انظر الهوى وأثره في الخلاف، للدكتور عبد الله الغنيمان : (١٧).
(٣) الموافقات للشاطبي ٢/ ٢٩١.

وفاض ذلك على لسانه، فلهج بذكر الله واتبع مراضي ربه فقدمها على هواه، فحفظ بذلك ما حفظ من وقته وصلحت أقواله واستقامت أفعاله، ودعا الناس إلى ما من الله به عليه، فحقيق بذلك أن يتبع ويجعل إماماً).

* وقال تعالى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١].

* وقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾ [الفرقان: ٤٣].

قال ابن عباس ﷺ: الهوى إله معبود، ثم قرأ هذه الآية[1].

* وقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي، رحمه الله في تفسيره عند هذه الآية: وفي قوله ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ﴾ دليل على أن كل من لم يستجب للرسول، وذهب إلى قول مخالف لقول الرسول، فإنه لم يذهب إلى هدى وإنما ذهب إلى هوى).

* وقال تعالى:﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً﴾ [الأحزاب: ٣٦].

قال ابن كثير، رحمه الله في تفسيره عند هذه الآية: (فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار لأحد ههنا ولا رأي ولا قول، كما قال تبارك وتعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ

(١) مقاصد المكلفين ص ٤١٥، نقلاً عن عيون الأخبار ١/ ٣٧.

وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ [النساء: ٦٥].

وفي الحديث: (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) ولهذا شدد في خلاف ذلك فقال:﴿ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً﴾ [الأحزاب: ٣٦].

كقوله:﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] انتهى كلامه رحمه الله.

* وقال تعالى:﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤١].

قال سهل رحمه الله: ترك الهوى مفتاح الجنة. (تفسير القرطبي عند الآية السابقة).

* وقد عد النبي ﷺ إتباع الهوى من المهلكات، فقال ﷺ في الحديث: «**وثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**»[١]. رواه البيهقي في شعب الإيمان.

* وقال ﷺ: «**إن مما أخشى عليكم بعدي بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى**»[٢]. رواه الإمام أحمد والطبراني وابن أبي عاصم في كتاب السنة.

* وكان النبي ﷺ يقول في دعائه: «**اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء**»[٣].

* وروي عنه ﷺ أنه قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**»[٤].

---

(١) صحيح الجامع :(٣٠٣٩).

(٢) وصححه الألباني رحمه الله في كتاب السنة لابن أبي عاصم، حديث رقم (١٤).

(٣) رواه الترمذي (٣٥٩١)، وابن أبي عاصم في كتاب السنة (١٣)، وصححه الألباني رحمه الله.

(٤) وقد ضعف أكثر العلماء هذا الحديث : انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب، وكلام الشيخ الألباني رحمه الله في تخريج كتاب السنة حديث رقم (١٥)، ومشكاة المصابيح حديث رقم (١٦٧).

أورده النووي رحمه الله في الأربعين برقم (٤١) وقال: حديث حسن صحيح

* قال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله عن الحديث السابق[١]: (لكن معنى الحديث، بقطع النظر عن إسناده، صحيح وأن الإنسان يجب أن يكون هواه تبعاً لما جاءبه النبي ﷺ).

* وقد جاءت الآثار الكثيرة عن بعض السلف رحمهم الله ـ تحذر من إتباع الهوى وتبين خطره فمن ذلك:

* قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (إن أخوف ما أتخوف عليكم اثنتان: طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق. ألا وإن الدنيا قد ولت مدبرة والآخرة مقبلة، ولكل واحدة منها بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل)[٢].

* قال الشعبي رحمه الله: (إنما سميت الأهواء أهواء لأنها تهوي بصاحبها في النار)[٣].

* وقال أبو حازم سلمة بن دينار: (قاتل هواك أشد مما تقاتل عدوك)[٤].

* وقال إبراهيم بن أدهم: (أشد الجهاد، جهاد الهوى)[٥].

* وكان ابن عيينه رحمه الله يتمثل:

إذا ما رأيت المرء يقتاده الهوى فقد ثكلته عند ذاك ثواكله
وقد أشمت الأعداء جهلاً بنفسه وقد وجدت فيه مقالاً عواذله

(١) كتاب شرح الأربعين للشيخ، رحمه الله.
(٢) فضائل الصحابة للإمام أحمد (١/ ٥٣٠).
(٣) حلية الأولياء (٤/ ٣٢٠).
(٤) حلية الأولياء (٣/ ٢٣١).
(٥) حلية الأولياء (٨/ ١٨).

ولن ينزع النفس اللحوح عن الهوى من الناس إلا وافر العقل كامله[١]

* قال الماوردي رحمه الله: (إن الهوى والشهوة يجتمعان في العلة والمعلول ويتفقان في الدلالة والمدلول، لكن الهوى مختص بالآراء والاعتقادات، والشهوة مختصة بنيل المستلذات، فصارت الشهوة من نتائج الهوى، ولذلك فإن الهوى عن الخير صاد، وللعقل مضاد، لأنه ينتج من الأخلاق قبائحها ويظهر من الأفعال فضائحها ويجعل ستر المروءة مهتوكاً ومدخل الشر مسلوكاً)[٢].

* قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله: (وأما قول القائل: كل يعمل في دينه الذي يشتهي، فهي كلمة عظيمة يجب أن يستتاب منها، وإلا عوقب، بل الإصرار على مثل هذه الكلمة يوجب القتل، فليس لأحد أن يعمل في الدين إلا ما شرعه الله ورسوله دون ما يشتهه ويهواه)[٣].

* وقال ابن القيم رحمه الله[٤]: (فالولاية عبارة عن موافقة الولي الحميد، في محابه ومساخطه وليست بكثرة صوم ولا صلاة ولا تمزق ولا رياضة).

* وبهذا يتضح لنا بحمد الله شيء من خطورة الهوى، أعاذنا الله منه، وأنه من الآفات العظيمة التي تهدد الأعمال الصالحة بل وتهدد جميع شئون الحياة، فلا يجتمع في قلب إخلاص وهوى فالمخلص متوجه إلى الله بكليته، وصاحب الهوى يدور حول نفسه كما يدور الحمار برحاه.

ومخالفة الهوى ليست بالأمر الهين أو اليسير، فالهوى عميق الجذور في

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٢٧٦.

(٢) أدب الدنيا والدين (٣٨).

(٣) مجموع الفتاوى: (٢٢/ ٢٤٠)

(٤) الداء والدواء، فصل ٩٩ ص ٢٩٨، والمقصود أن العبد لا يكون ولياً لله تعالى حتى يكون هواه تبعاً لمولاه في محابه ومساخطه.

النفس الإنسانية، وإذا تمكن من الإنسان سيطر عليه سيطرة المقاتل على أسيره، وذلك أن الشهوات التي يهواها العبد مخلوطة بكيانه وهو يشعر باللذة الحاضرة عندما ينال هواه، وما تشتهيه نفسه.

ولذلك نرى أكثر الناس تحركهم أهوائهم، فيكون الهوى هو الدافع والباعث على العمل، وفي الوقت نفسه هو الغاية التي يسعى صاحب الهوى إلى تحقيقها، وبذلك يكون الهوى هو الإله الذي يعبده ويطوف حوله، فصاحب الهوى متعبد لهواه، حباً وخوفاً ورجاءاً ورضاءاً وسخطاً وتعظيماً وذلاً، إن أحب أحب لهواه، فهواه آثر عنده وأحب إليه من رضا مولاه.

ومن ينظر اليوم ببصيرة مستنيرة بنور الإيمان يعلم ما حل بالقلوب والأفراد والأسر والمجتمعات نتيجة لإتباع الهوى في العقائد والعبادات والمعاملات والدعوة والاقتصاد والسياسة وغير ذلك[١].

* قال ابن القيم رحمه الله: (وكل من له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي، والهوى على العقل، وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحكم هلاكه، وفي أمة إلا فسد أمرها أتم فساد، فلا إله إلا الله كم نفي بهذه الآراء من حق، وأثبت بها من باطل، وأميت بها من هدى وأحيي بها من ضلالة؟ وكم هدم بها من معقل الإيمان وعمر بها من دين الشيطان...)[٢].

* وقال رحمه الله كذلك في التحذير من إتباع الهوى وبيان عواقبه الوخيمة: (الهوى ما خالط شيئاً إلا أفسده، فإن وقع في العلم أخرجه إلى البدعة والضلالة، وصار صاحبه من جملة أهل الأهواء.

---

(١) انظر مقاصد المكلفين: ٤١٥.

(٢) إعلام الموقعين ١/ ٧٥، وانظر مقاصد المكلفين (٤٢١)

وإن وقع في الزهد أخرج صاحبه إلى الرياء ومخالفة السنة.

وإن وقع في الحكم أخرج صاحبه إلى الظلم وصد عن الحق.

وإن وقع في القسمة خرجت عن قسمة العدل إلى قسمة الجور.

وإن وقع في الولاية والعزل أخرج صاحبه إلى خيانة الله والمسلمين حيث يولي بهواه ويعزل بهواه.

وإن وقع في العبادة خرجت عن أن تكون طاعة وقربة،فما قارن شيئاً إلا أفسده)[1].

لقد حمل الهوى أصحابه والعياذ بالله على انتهاك المحرمات والجري وراء الملذات والشهوات المحرمة، وظلم النفس، وظلم الآخرين وأكل حقوقهم.

كما حمل الهوى أقواماً على رد النصوص الصحيحة الصريحة والعياذ بالله، ولي أعناقها، والتعصب والتقليد الأعمى والتحايل على أوامر الله ونواهيه بشتى أنواع الحيل، حتى قال أحدهم: ـ كل نص خالف قول الإمام يجب تأويله؟؟؟

وقال آخر: لا يجوز مخالفة الأئمة الأربعة ولو خالف قولهم صريح القرآن والسنة وأقوال الصحابة؟؟

نعوذ بالله من تخبطات الهوى والشيطان، ومن نزغات النفس الأمارة بالسوء، إنه نعم المولى ونعم النصير.

فالواجب الحذر كل الحذر من هذا الداء العضال والآفة الخطيرة، الذي أوصل بعض أصحابه والعياذ بالله إلى الكفر بالله تعالى وبرسله ومعاداتهم وقتالهم وجحد الحق ورده.

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُواْ وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠].

---

(١) روضة المحبين (٣٣٨).

مسألة مهمة:

هل تبطل كل عبادة خالطها الهوى؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، في معرض حديثه عن أنواع الناس مع أوامر الله ونواهيه: (النوع الثاني عكس هذا، وهو أنهم يتبعون هواهم، لا أمر الله، فهؤلاء لا يأمرون إلا بما يحبون بهواهم ولا يتركون وينهون إلا عن ما يكرهونه بهواهم، وهؤلاء شر الخلق، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾ [الفرقان: ٤٣].

قال الحسن: هو المنافق لا يهوى شيئاً إلا ركبه، وقال عمر بن عبد العزيز: لا تكن ممن يتبع الحق إذا وافق هواه، ويخالفه إذا خالف هواه فإذا أنت لا تثاب على ما تبعته من الحق، وتعاقب على ما خالفته، وهو كما قال ﷺ، لأنه في الموضعين إنما قصد هواه، لم يعمل لله)[1].

* وقال الشاطبي رحمه الله: (كل عمل كان المتبع فيه الهوى بإطلاق من غير التفات إلى الأمر أو النهي أو التخيير، فهو باطل بإطلاق لأنه لابد للعمل من حامل يحمل عليه وداع يدعوا إليه، فإذا لم يكن لتلبية الشارع في ذلك مدخل، فليس إلا مقتضى الهوى والشهوة، وما كان كذلك فهو باطل لأنه خلاف الحق بإطلاق...

وكل فعل كان المتبع فيه بإطلاق: الأمر أو النهى أو التخيير، فهو صحيح وحق لأنه قد أتى به من طريقه الموضوع له، ووافق فيه صاحبه قصد الشارع فكان كله صواباً، وهو ظاهر.

وأما إن امتزج فيه الأمران، فكان معمولاً بهما؟ فالحكم للغالب والسابق.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/ ٤٧٩.

فإن كان السابق أمر الشارع بحيث قصد العامل نيل غرضه من الطريق المشروع، فلا إشكال في إلحاقه بالقسم الثاني وهو ما كان المتبع فيه مقتضى الشرع خاصة لأن طلب الحظوظ والأغراض لا ينافي وضع الشريعة من هذه الجهة، لأن الشريعة موضوعة أيضاً لمصالح العباد، فإذا جعل الحظ تابعاً فلا ضرر على العامل....

وإن كان الغالب والسابق هو الهوى، وصار أمر الشارع كالتبع، فهو لاحق بالقسم الأول (أي باطل)[١].

* وبذلك يتبين لنا أن الهوى يدخل في الطاعات والعبادات وليس مقصورا على الوقوع في المعاصي، فكم من طاعة وعبادة يقوم بها صاحبها ويتحمل في سبيلها المشاق والتضحيات الجسيمة، اتباعاً لهواه وليس امتثالاً لأوامر ربه ومولاه، كما مر معنا في حديث أول ثلاثة تسعر بهم النار يوم القيامة، نسأل الله السلامة والعافية.

من صور وأمثلة اتباع الهوى[٢]:

اتضح فيما مر معنا أن جميع المعاصي من اتباع الهوى بل إن فساد العالم وخرابه بسبب اتباع الهوى وتقديم الرأي على الوحي.

وإنما أذكر هنا بعض الأشكال والصور والأمثلة بالإضافة إلى ما سبق والتي ربما غفل عنها البعض فمنها:

١ـ معارضة نصوص الكتاب والسنة بغير علم وتقديم العقل على النقل.

٢ـ تتبع الرخص في أقوال العلماء.

٣ـ التعصب في الآراء وعدم قبول الانتقادات والنقاشات، وكذلك في الحكم

(١) الموافقات ٢/ ٢٩٥ ـ ٢٩٧ بتصرف يسير.

(٢) انظر رسالة الهوى وأثره في الخلاف، للدكتور : عبد الله الغنيمان، فهي رسالة قيمة في موضوعها.

على الأشخاص.

٤ـ الإكثار من الجدال والنقاش بدون فائدة.

٥ـ إظهار وإبراز خلاف العلماء في الأحكام الشرعية والمسائل الفقهية.

٦ـ الاستطالة في أعراض الآخرين بدون حق.

٧ـ إطراء الآخرين ومدحهم ورفعهم فوق مكانتهم.

٨ـ مجالسة ومصاحبة العصاة والفجرة بل ربما الكفرة بدون مصلحة شرعية.

٩ـ النفرة من الصالحين والصادقين بدون سبب شرعي.

١٠ـ محبة الإنسان لمن يعظمه ويمدحه ويقبل قوله ويستمع له أكثر من غيره وإن كان غيره أولى منه بذلك.

١١ـ بغض الإنسان لمن يشاركه في العلم أو العمل بدون مبرر شرعي.

١٢ـ حسد الآخرين على ما آتاهم الله من فضله من علم أو جاه أو مال أو قبول عند الناس أو غير ذلك.

١٣ـ تصنيف الناس والحكم عليهم بانتماءات فكرية أو حزبية، والحرص على ذلك، وامتحان الناس به وكأنه هو الأصل في الإسلام.

وقاتل الله الهوى فكم أدى إلى فرقة واختلاف وتضييع كثير من الجهود وتوقف بعضها بسبب تلك الألقاب والأوصاف الظالمة[1].

١٤ـ التسمي بأسماء الجماعات والمذاهب والجمعيات والتعصب لها وعقد الولاء والبراء عليها.

١٥ـ عدم تحكيم الشريعة والرجوع إلى الكتاب والسنة وهدي السلف في

(١) (انظر فتاوى ابن تيمية ٣/ ٤١٥ و ٢٠/ ١٦٤ وانظر زاد المعاد ٢/ ٤٧١، وانظر كذلك رسالة الشيخ بكر أو زيد رحمه الله التي بعنوان تصنيف الناس بين الظن واليقين فهي رسالة قيمة).

المناهج الدعوية ومناهج الجماعات والمذاهب الفقهية وغيرها مما يختلف فيه الناس، وقصر تحكيم الشريعة في المخاصمات بين الناس في المحاكم في الأمور المالية والأحوال الشخصية.

قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله: (فلا يجوز لنا أن نقصر كلام الله وكلام رسوله على ناحية ونترك النواحي الأخرى، لأن هذا إما جهل وإما هوى.

كثير من الناس اليوم ينادون بتحكيم الشريعة في المحاكم وهذا حق، لكن هم متنازعون مختلفون في مناهجهم وفي مذاهبهم ولا يريدون أن يحكموا الشريعة في هذه الأمور، يقولون: اترك الناس على ما هم عليه، لا تتعرضوا لعقائدهم، لا تتعرضوا لمصطلحاتهم، لا تتعرضوا لمناهجهم اتركوهم على ما هم عليه، وهذا ضلال بل هذا من الإيمان ببعض الكتاب والكفر بالبعض الآخر مثل قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥][1].

١٦ـ طاعة العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، وهو ما يسميه العلماء بشرك الطاعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وكثير من المتفقهة وأجناد الملوك، وأتباع القضاة والعامة المتبعة لهؤلاء، يشركون شرك الطاعة، فتجد أحد المنحرفين يجعل الواجب ما أوجبه متبوعه، والحرام ما حرمه والحلال ما حلله والدين ما شرعه، إما ديناً وإما دنيا، وإما ديناً ودنيا، ثم يخوف من امتنع من هذا الشرك وهو لا يخاف أنه أشرك به شيئاً في طاعته بغير سلطان من الله.

(١) (انظر إعانة المستفيد للشيخ صالح الفوزان (٢/ ١٢٠).

وبهذا يخرج من أوجب الله طاعته من رسول، وأمير وعالم ووالد وشيخ، وغير ذلك[١].

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: (فطاعة العلماء والأمراء في مثل هذا شرك، في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، فإن كان الذي أطاعهم يعلم أنهم خالفوا أمر الله في ذلك وتعمد طاعتهم واستباح هذا، فهذا شرك أكبر يخرج من الملة. وإن كان الذي أطاعهم يعتقد أن هذا حرام ويعترف أن هذا خطأ ولكنه أطاعهم لهوى في نفسه أو رغبة في نفسه مع اعترافه بالمعصية، فهذا شرك أصغر. وإن كان أطاعهم وهو لا يعلم أنهم خالفوا شرع الله بل ظن أنهم على حق، فهذا معذور إن كان مثله يجهل ذلك، وأما طاعة العلماء والأمراء في غير معصية الله، فهذا أمر واجب)[٢].

(١) مجموع الفتاوى: (١/ ٩٨).

(٢) إعانة المستفيد (٢/ ١٠٧)، وانظر كذلك التمهيد (٤٢٠) والقول المفيد (٢/ ١٥٧).

علاج إتباع الهوى

١ـ أن نعلم أن اتباع الهوى من الأمور التي تزاحم الإخلاص لله تعالى وتوقع في الشرك الأصغر وربما وصل بأصحابه إلى الشرك الأكبر والعياذ بالله.

٢ـ معرفة اتباع الهوى على حقيقته ومعرفة صوره وأشكاله.

٣ـ توحيد وتجريد القصد لله تعالى والحذر من اتباع الهوى وغيره من نوازع النفس وشهواتها الخفية المتأصلة والتي لا يسلم منها إلا من سلمه الله.

٤ـ إحياء واعظ الله في القلوب وتخويفها دائماً بالله تعالى وتذكيرها بإطلاعه سبحانه وتعالى على خفاياها.

٥ـ أن نعلم أن المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبد الله اختيارًا، كما هو عبد لله اضطراراً. ولذلك نزه الله تعالى نبيه عن إتباع الهوى وبين كمال عبوديته ﷺ، فقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم: ٣]. وتأمل قول الله تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَاشَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ [النساء: ٦٥].

٦ـ أن نعلم أن جميع المعاصي تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع، ولذلك يسمى أهلها أهل الأهواء فهو أعظم مداخل الشيطان على الإنسان[1].

٧ـ النظر والتفكر في عواقب اتباع الهوى في الدنيا والآخرة، وأنه أساس فساد العالم وخرابه كما مر معنا.

٨ـ كثرة المحاسبة والمساءلة للنفس قبل الإقدام على أي عمل وأثناءه وبعده، وعدم الغفلة عن ذلك.

---

(١) انظر جوامع الكلم لابن رجب (٢/ ٤٣٦).

٩ـ الاستعانة بالله تعالى واللجوء إليه سبحانه بكثرة الدعاء للسلامة من هذه الآفة الخطيرة.

١٠ـ أن نعلم أن الأصل كما مر معنا في اتباع الهوى أنه مذموم، وأنه يدخل في الطاعات كما يدخل في المعاصي، ولذلك يجب الحذر والتنبه لكل عمل تهواه النفس وتحبه وتشتهيه، وتنشط له ولو كان مشروعاً، بل ربما كان من الأصلح أحياناً ترك بعض تلك الأعمال خشية مخالطة الهوى، ما لم تكن من الواجبات والفرائض. قال ابن القيم رحمه الله: (جعل الله سبحانه وتعالى الخطأ واتباع الهوى قرينين، وجعل الصواب ومخالفة الهوى قرينين، كما قال بعض السلف: إذا أشكل عليك أمران لا تدري أيهما أرشد، فخالف أقربهما من هواك، فإن أقرب ما يكون الخطأ في متابعة الهوى)[1].

١١ـ أن نعلم أن الهوى هو أول فتنة طرقت العالم وبإتباع الهوى ضل إبليس،وبه ضل كثير من الأمم عن إتباع رسلهم وأنبيائهم، كما مر معنا، ولهذا حكم الله سبحانه وتعالى وهو أعدل الحاكمين أنه لا أحد أضل ممن اتبع هواه، فقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ﴾ [القصص: ٥٠].

١٢ـ أن نعلم أن الهوى يعمي ويصم صاحبه ولو كان من أهل العلم والمعرفة، بل إنه يصيره كمن لا قلب له ولا سمع ولا بصر والعياذ بالله. قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ

(١) روضة المحبين (٣٣٨).

كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

١٣ـ تذكر ما يجده الإنسان إذا غلب هواه وملك نفسه من الشعور بالقوة والعزة، بالإضافة إلى ما يحصل له من الذكر الجميل، بخلاف ما يجده من غلبه هواه وقادته نفسه من الشعور بالذل والقهر واضطراب النفس.

١٤ـ أن نعلم أن إيثار محاب الله تعالى على محاب النفس عند غلبات الهوى من أعظم أسباب محبة الله تعالى للعبد، كما قال ابن القيم رحمه الله[١].

١٥ ـ أن نعلم أن اتباع الهوى يمنع من طلب العلم والتعلم والبحث عن الحق والازدياد من الخير، ويورث الجهل والضلال والإعراض عن الحق والتكبر عليه وعدم قبوله، والعياذ بالله.

١٦ ـ أن نعلم أن مخالفة الهوى والانتصار عليه مرتبة عالية ودرجة عظيمة تجعله من أعظم أولياء الله.

قال ابن القيم رحمه الله: (مخالفة الهوى تقيم العبد في مقام من لو أقسم على الله لأبره فيقضي له من الحوائج أضعاف ما فاته من هواه، فهو كمن رغب عن بعرة فأعطي عوضها درة، ومتبع الهوى يفوته من مصالحه العاجلة والآجلة والعيش الهنيئ ما لا نسبة لما ظفر به من هواه البتة)[٢].

١٧ـ أن نعلم أن مخالفة الهوى تجعل العبد يكون أهلاً أن يطاع وأن يكون إماماً ومتبوعاً، لأن مخالفة الهوى تورث العبد قوة في بدنه وقلبه ولسانه[٣].

يا نفس توبي فإن الموت قد حان وأعصي الهوى فالهوى ما زال فتاناً

---

(١) مدارج السالكين: (٣/ ١٨٩).

(٢) روضة المحبين (٣٤٢).

(٣) انظر روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم رحمه الله (٣٣٣ وما بعدها)، فقد ذكر رحمه الله أنواعاً كثيرة لعلاج الهوى، جديرة بالإطلاع.

مزالق وتنبيهات في علاج الهوى

١ ـ ليس من اتباع الهوى المذموم، النشاط في عبادة دون أخرى، أو الإقبال على العبادة في وقت دون غيره.

فالعبادات أبواب متنوعة، والنفس لها إقبال ولها إدبار، وقد يفتح الله على المسلم في عبادة أو في وقت، فينشط ويقبل على الله تعالى دون غيرها من العبادات أو الأوقات.

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ متفاوتين في عبادتهم حيث كان فيهم القارئ، والفقيه، والعابد، والمجاهد، وغير ذلك.

٢ ـ ليس من اتباع الهوى المذموم، اختيار الأيسر في كل الأمور، لأن المشقة ليست مقصودة بذاتها في أحكام الشريعة، وقد ثبت عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ: (ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه...). رواه البخاري ومسلم.

٣ ـ ليس من اتباع الهوى المذموم طلب الشهوات والملذات المباحة وكل ما يحتاجه الإنسان بطبيعته البشرية مما جاءت الشريعة بإباحته أو الحث عليه أو الترغيب فيه، من غير تكلف، وهذا لا يتعارض مع الزهد الذي حثت عليه الشريعة ورغبت فيه.

٤ ـ ليس من اتباع الهوى المذموم أن يحب الإنسان أخاً له في الله أكثر من غيره، أو يحب عالماً أو شيخاً أكثر من غيره، إذا كان الدافع لذلك ما يعلمه من أحوالهم وأعمالهم مما يحبه الله تعالى.

٥ ـ ليس من اتباع الهوى المذموم الأخذ بالسنن والرخص الثابتة في الشرع كالقصر والجمع والفطر للمسافر والمريض ونحوهما ما لم يكن ثمة حيلة.

قال ﷺ: «**إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه**»[1]. رواه الإمام أحمد والبيهقي.

(١) صحيح الجامع: ١٨٨٥.

٥- إرادة الدنيا بعمل الآخرة

هذا الأمر ليس تكراراً لما سبق ذكره من الأمثلة، وإنما هو أعم منها ويدخل فيه كل قصد وغرض ينافي الإخلاص وكمال التوحيد الواجب.

فالرياء والسمعة مثلاً، حالة واحدة من أحوال إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة، فبينهما عموم وخصوص، لأن المرائي كما مر معنا يريد الثناء والمدح وأن يرى مكانه في الناس، أما إرادة الدنيا فقد تحصل ممن يعبد الله مخلصاً له لكنه يريد شيئاً من الدنيا كالمال والمرتبة والصحة في نفسه وأهله وولده وما أشبه ذلك.

فهو يريد بعمله نفعاً في الدنيا غافلاً عن ثواب الآخرة، كمن يحج ليأخذ المال أو يجاهد للمغنم أو غير ذلك ولا يهمه مدح الناس وثنائهم[1].

* قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥ ـ ١٦].

* قال ابن القيم رحمه الله، بعد أن ذكر أقوال المفسرين واختلافهم في هذه الآية، وهل يدخل فيها المؤمن أم هي في حق الكافر فقط.

(والآية بحمد الله لا إشكال فيها والله سبحانه ذكر جزاء من يريد بعمله الحياة الدنيا وزينتها وهو النار، وأخبر بحبوط عمله وبطلانه فإذا أحبط ما ينجو به وبطل، لم يبق معه ما ينجيه، فإن كان معه إيمان لم يرد به الدنيا وزينتها بل أراد الله به والدار الآخرة، ولم يدخل هذا الإيمان في العمل الذي حبط وبطل، وأنجاه

(١) انظر كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب، وشروحه القول المفيد ٢/ ١٣٦، والتمهيد ٤٠٤ وفتح المجيد (٣٨٤) وإعانة المستفيد : ٢/ ٩٩.

إيمانه من الخلود في النار، وإن دخلها بحبوط عمله الذي به النجاة المطلقة

والإيمان إيمانان: إيمان يمنع من دخول النار، وهو الإيمان الباعث على أن تكون الأعمال لله يبتغي بها وجهه وثوابه، وإيمان يمنع الخلود في النار وإن كان مع المرائي شيء منه، وإلا كان من أهل الخلود، فالآية لها حكم نظائرها من آيات الوعيد، والله الموفق.

وذلك قوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى:٢٠]، ومنه قوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً﴾ [الإسراء ١٨، ١٩].

فهذه ثلاثة مواضع من القرآن يشبه بعضها بعضاً، ويصدق بعضها بعضاً وتجتمع على معنى واحد، وهو: أن من كانت الدنيا مراده، ولها يعمل في غاية سعيه لم يكن له في الآخرة نصيب، ومن كانت الآخرة مراده، ولها يعمل وهي غاية سعيه فهي له.

بقي أن يقال: فما حكم من يريد الدنيا والآخرة فإنه داخل تحت حكم الإرادتين فبأيهما يلحق؟ قيل: من هاهنا نشأ الإشكال وظن من ظن من المفسرين أن الآية في حق الكافر، فإنه هو الذي يريد الدنيا دون الآخرة، وهذا غير لازم طرداً ولا عكساً، فإن بعض الكفار قد يريد الآخرة، وبعض المسلمين قد لا يكون مراده إلا الدنيا، والله تعالى قد علق السعادة بإرادة الآخرة، والشقاوة بإرادة الدنيا، فإذا تجردت الإرادتان تجرد موجبها ومقتضاها، وإن اجتمعتا فحكم اجتماعهما حكم اجتماع البر والفجور والطاعة والمعصية والإيمان والشرك في العبد، وقد قال تعالى لخير الخلق بعد الرسل: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا

وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وهذا خطاب للذين شهدوا معه الوقعة ولم يكن فيهم منافق، ولهذا قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «ما شعرت أن أحد أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى كان يوم أحد ونزلت هذه الآية»، والذين أريدوا في هذه الآية هم الذين أخلوا مركزهم الذي أمرهم رسول الله ﷺ بحفظه وهم من خيار المسلمين، ولكن هذه إرادة عارضة حملتهم على ترك المركز والإقبال على كسب الغنائم بخلاف من كان مراده بعمله الدنيا.

وعاجلها، فهذه الإرادة لون، وإرادة هؤلاء لون...)[1].

* قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عندما سئل عن الآية السابقة: (ذكر عن السلف فيها أنواع مما يفعله الناس اليوم، ولا يعرفون معناه:

النوع الأول: العمل الصالح يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله، من صدقة وصلاة وصلة وإحسان إلى الناس، وترك ظلم ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصاً لله لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة، إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته، أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعم عليهم ولا همة له في طلب الجنة والهرب من النار، فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا وليس له في الآخرة نصيب، وهذا النوع ذكره ابن عباس.

النوع الثاني: وهو أكبر من الأول وأخوف، وهو الذي ذكره مجاهد في الآية: أنها نزلت فيه، وهو أن يعمل أعمالاً صالحة ونيته رئاء الناس، لا طلب ثواب الآخرة.

النوع الثالث: أن يعمل أعمالاً صالحة يقصد بها مالاً، مثل أن يحج لمال يأخذه لا لله، أو يهاجر لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل المغنم، فقد ذكر أيضاً هذا النوع في تفسير هذه الآية.

---

(١) عدة الصابرين (١٦٧ ـ ١٦٨).

وكما يتعلم الرجل لأجل مدرسة أهله أو مكسبهم أو رياستهم أو يتعلم القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد كما هو واقع كثيراً.

النوع الرابع: أن يعمل بطاعة الله مخلصاً في ذلك لله وحده لا شريك له، لكنه على عمل يكفره كفراً يخرجه عن الإسلام، مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله، أو تصدقوا أو صاموا، ابتغاء وجه الله والدار الآخرة.

ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم كفر أو شرك أكبر يخرجهم من الإسلام بالكلية، إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة، لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام، وتمنع قبول أعمالهم، فهذا النوع أيضاً قد ذكر في هذه الآية عن أنس بن مالك وغيره وكان السلف يخافون منها) انتهى كلامه[١].

* وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، عن معنى الآية السابقة: (الشرك نوعان: أكبر وأصغر، وهذا قد يكون من الأكبر تارة، وتارة يكون من الأصغر. فإذا أراد بإسلامه ودخوله الدين، الدنيا، فهذا شرك أكبر كالمنافقين فهم في الدرك الأسفل من النار. وتارة يكون أصغر، كمن يرائي بقراءته وأمره ونهيه أو يجاهد لأجل الغنيمة ليس لله، وهو مؤمن مسلم لكن تعرض له هذه الأمور. والآية في الكفار الذين عبدوا الله لأجل الدنيا كالمنافقين، وعمومه يوجب الحذر من إرادة الإنسان بعمله الدنيا ولو كان ذلك في بعض الأمور)[٢].

* وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**» رواه

(١) المصدر السابق، وانظر كذلك الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص ١٠٢ ـ ١٠٣.
(٢) شرح كتاب التوحيد (١٨٩).

البخاري ومسلم وغيرهما.

* وقال ابن رجب رحمه الله: (لما ذكر ﷺ أن الأعمال بحسب النيات، وأن حظ العامل من عمله نيته من خير وشر، وهاتان كلمتان جامعتان وقاعدتان كليتان، لا يخرج عنهما شيء، ذكر بعد ذلك مثالاً من أمثال الأعمال التي صورتها واحدة، ويختلف صلاحها وفسادها باختلاف النيات، وكأنه يقول: (سائر الأعمال على حذو هذا المثال)[1].

* قال الإمام الشافعي رحمه الله عن هذا الحديث: هذا الحديث ثلث العلم ويدخل في سبعين باباً من الفقه.

* وقال عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله: يدخل هذا الحديث في ثلاثين باباً من الإرادات والنيات.

وقد سمعت الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله يقول: هذا الحديث نصف الدين لأن الدين أعمال القلوب وأعمال الجوارح، وهذا الحديث يتناول أعمال القلوب.

*** فائدة:**

الهجرة أو الانتقال من مكان إلى آخر من أجل مصلحة دنيوية، من الأمور المباحة بل قد تستحب إذا كانت تعين على طاعة الله تعالى، وإنما المنهي عنه والمذموم هو من يفعل ذلك مظهراً أنه مهاجر إلى الله ورسوله وهو يبطن إرادته لتلك المصالح الدنيوية.

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط**

(١) جامع العلوم والحكم، الحديث الأول ص ٣٧.

سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه إن كان في الحراسة، كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، وإن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع» رواه البخاري.

تعس: سقط وهلك.

انتكس: سقط على وجهه.

شيك: أصابته شوكه.

انتقش: أخرج الشوكة.

الخميصة: نوع من الثياب.

الخميلة: نوع من الفرش.

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فسماه النبي ﷺ عبد الدرهم، وعبد الدينار، وعبد القطيفة، وعبد الخميصة، وذكر ما فيه دعاء وخبر، وهو قوله (تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش) وهذه حال من إذا أصابه شر لم يخرج منه ولم يفلح لكونه تعس وانتكس فلا نال المطلوب ولا خلص من المكروه، وهذه حال من عبد المال، وقد وصف ذلك بأنه (إذا أعطي رضي وإذا منع سخط)، فرضاهم لغير الله وسخطهم لغير الله، وهكذا حال من كان متعلقاً برئاسة أو بصورة ونحو ذلك من أهواء نفسه، إن حصل له رضي، وإن لم يحصل له سخط، فهذا عبد ما يهواه من ذلك وهو رقيق له، إذ الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته، فما استرق القلب واستعبده فهو عبده...)[1].

* قال ابن حجر رحمه الله: (قوله: عبد الدينار، أي طالبه الحريص على جمعه القائم على حفظه فكأنه لذلك خادمه وعبده، قال الطيبي: قيل خص العبد

(١) مجموع الفتاوى ١٠/ ١٨٠ بتصرف.

بالذكر ليؤذن بانغماسه في محبة الدنيا وشهوتها، كالأسير الذي لا يجد خلاصاً ولم يقل مالك الدينار، ولا جامع الدينار: لأن المذموم من الملك والجمع الزيادة على قدر الحاجة.

وقوله: إن أعطي... الخ، يؤذن بشدة الحرص على ذلك، وقال غيره: جعله عبداً لهما لشغفه وحرصه، فمن كان عبداً لهواه لم يصدق في حقه (إياك نعبد) فلا يكون من اتصف بذلك صديقاً)[١].

* وقال ﷺ: «**من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**».

رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه[٢].

* وقال ﷺ: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**» رواه البخاري.

* وقال ﷺ: «**من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**» رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان[٣].

وقد تقدم بعض الأحاديث في التحذير من الرياء والسمعة وطلب الجاه والشهرة والرياسة، وهي جزء من إرادة الدنيا، نسأل الله السلامة والعافية.

* قال الحسن البصري رحمه الله: إياكم وما شغل من الدنيا، فالدنيا كثيرة الأشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب[٤].

* وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لا يصيب عبد شيئا من الدنيا إلا

---

(١) فتح الباري (١١/ ٢٥٤).
(٢) صحيح الترغيب والترهيب رقم (١٠٥).
(٣) صحيح الجامع (٦٠٤٢).
(٤) حلية الأولياء: ٢/ ١٥٣.

نقص درجاته عند الله عز وجل وإن كان عليه كريماً[١].

* وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: إن الدنيا نذلة وهي إلى كل نذل أميل[٢].

* وقال سفيان الثوري رحمه الله: من سر بالدنيا نزع خوف الآخرة من قلبه[٣].

* وقال سفيان الثوري رحمه الله: إن أقبح الرغبة أن تطلب الدنيا بعمل الآخرة[٤].

* وقال أحمد بن أبي الحواري: من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحب، أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه[٥].

* وقال بشر بن الحارث: من سأل الله تعالى الدنيا فإنما يسأله طول الوقوف[٦].

* وروي عن نبي الله عيسى - عليه وعلى نبيا الصلاة والسلام - أنه قال: (تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير العمل، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بالعمل.

ويلكم علماء السوء؟ الأجر تأخذون والعمل تضيعون! فيوشك رب العمل أن يطلب عمله، وتوشكون أن تخرجوا من الدنيا العريضة إلى ظلمة القبر وضيقه.

كيف يكون من أهل العلم من اتهم الله فيما قضى، فليس يرضى بشيء.

كيف يكون من أهل العلم من دنياه آثر عنده من آخرته، وهو في دنياه أفضل رغبة.

---

(١) حلية الأولياء: ١/ ٣٠٦.

(٢) حلية الأولياء: ٢/ ١٧٠.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٧/ ٢٦٨.

(٤) حلية الأولياء: ٧/ ٥٤.

(٥) سير أعلام النبلاء: ١٢/ ٨٨.

(٦) حلية الأولياء: ٨/ ٣٣٧.

كيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به، ولا يطلبه ليعمل به)[1].

من صور وأمثلة إرادة الدنيا بعمل الآخرة:

الأمثلة على المطالب الدنيوية التي يراد بها عمل الآخرة، كثيرة ومتنوعة فمنها بالإضافة إلى ما سبق:

١ـ أن يحافظ على صلاة الجماعة في المسجد ليشهد له بذلك ويكثر أصحابه.

٢ـ أن يصلي بالليل ليراقب أهله وبيته، وليستنير وجهه بذلك.

٣ـ أن يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم، أو ليخفف عن نفسه التردد في طبخ الطعام، أو ليفرغ لأشغاله.

٤ـ أن يتصدق بإعطاء السائل ليقطع إبرامه وإزعاجه في السؤال عن نفسه.

٥ـ أن يعتكف في المسجد ليخفف عن نفسه أجرة السكن.

٦ـ أن يحج ليصح مزاجه بحركة السفر، أو يتخلص من شر يعرض له في بلده، أو ليهرب من عدو له، أو ليستريح من شغل هو فيه.

٧ـ أن يعود مريضاً ليعاد إذا مرض.

٨ـ أن يشيع الجنازة، لتشيع جنائز أهله.

٩ـ أن يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال، أو ليكون عزيزاً بين عشيرته، أو ليكون عقاره وماله محروساً بعز العلم عن الأطماع.

١٠ـ أن يتعلم في الكليات الشرعية لترتفع مرتبته في الدنيا.

١١ـ أن يحرص على الدعوة إلى الله بإلقاء الكلمات والمحاضرات والسفر إلى أماكن كثيرة وبعيدة مقابل عائد مادي أو انتداب أو ليكثر أصحابه ومعارفه، نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) كتاب الزهد لأبي داود السجستاني (٢٧).

١٢ـ أن يشتغل بخدمة العلماء، ليكون حظه وافراً عندهم وعند الناس.

١٣ـ أن يشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص من كرب الصمت ويرتاح بلذة الحديث والظهور وكثرة الحضور.

١٤ـ أن يتعبد لله تعالى ليجزيه الله بهذا بمحبة الخلق له.

١٥ـ أن يتعبد لله تعالى، يريد صرف وجوه الناس إليه، ليعرف بالخير ويذكر به، وينظر إليه بعين الصلاح والوقار[1].

١٦ـ أن يحرص صاحب الوظيفة الدينية (كالقضاء والإمامة والخطابة ونحوها) على الترقيات والعوائد المالية ويلح في طلبها ويرضى ويغضب من أجلها.

* قال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله: (إذا أعطي الإنسان شيئاً من بيت المال للتدريس، أو للإمامة، أو للأذان، أو لرعاية المسجد، أو ما أشبه ذلك ـ فإنه لا بأس به ولا حرج عليه في ذلك، وإنما الذي لا ينبغي: أن يتطلب هذا الأمر ويطالب فيه أو في الزيادة فيه، لا في التدريس ولا في الإمامة ولا في غيره، وهو إلى التحريم أقرب، لأن هذا يدخل في قول الرسول عليه الصلاة والسلام لعمر رضي الله عنه: (ما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل، فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك) فأنت على كل حال، ادخل في هذا الشيء، وما أتاك فخذه، ولا حرج عليك، ولكن لا تطالب بزيادة راتب وما أشبه ذلك، أما إذا عرضت الوظيفة للمسابقة فيها فلا حرج عليك أن تتقدم، وليس هذا من باب طلب الزيادة.

وكذلك لو قيل لك: اكتب مثلاً: خدماتك لأجل أن تنظر هل تستحق أن ترقى أو لا؟ فلا حرج عليك في الكتابة لأن هذا ليس بطلب منك، وإلا فالورع

(١) انظر الأمثلة السابقة في إحياء علوم الدين ٤/ ٤٠٠، والقول المفيد ٢/ ١٣٧ (بتصرف).

والأسلم أن لا تطلب ولا الترقية[١].

١٧ـ أن يتعبد لله تعالى، ويخفي طاعته بحيث لا يريد الإطلاع ولا يسر بظهور طاعته، ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يبدءوه بالسلام وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير وأن يثنوا عليه، وأن ينشطوا في قضاء حوائجه، وأن يسامحوه في البيع والشراء، وأن يوسعوا له في المكان، فإن قصر فيه مقصر، ثقل ذلك على قلبه، ووجد لذلك استبعاداً في نفسه، كأنه يتقاضى الاحترام مع الطاعة التي أخفاها، مع أنه لم يطلع عليه، ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه[٢].

١٨ـ أن يتعبد لله تعالى لشهوة في نفسه مثل حب الإطلاع على بعض أمور الغيب، أو نيل شيء من الكرامات، أو الإطلاع على غرائب العلوم، ظناً منه أن هذه الأشياء من أسباب الولاية وكرامات الصالحين ونوعاً من المعرفة، وقد روي أن بعض الناس سمع بالقول المأثور (من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه).

فتعرض لذلك لينال الحكمة فلم يفتح له بابها، فبلغت القصة بعض الفضلاء فقال: (هذا أخلص للحكمة ولم يخلص لله)[٣].

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وذلك لأن الإنسان قد يكون مقصوده نيل العلم والحكمة أو نيل المكاشفات والتأثيرات، أو نيل تعظيم الناس له ومدحهم إياه، أو غير ذلك من المطالب ـ وقد عرف أن ذلك يحصل

(١) فتح ذي الجلال والإكرام شرح بلوغ المرام (٢/ ٢١٤)، وانظر وشرح رياض الصالحين ٤/ ٨ للشيخ رحمه الله.

(٢) إحياء علوم الدين ٣/ ٣٢٢.

(٣) الموافقات للشاطبي ٣/ ١٤٧ ـ ١٥٣، ومقاصد المكلفين ص ٤٨٠، وانظر الأثر المذكور في السلسلة الضعيفة للألباني رحمه الله رقم (٣٨).

بالإخلاص لله وإرادة وجهه، فإذا قصد أن يطلب ذلك بالإخلاص لله وإرادة وجهه، كان متناقضاً، لأن من أراد شيئاً لغيره، فالثاني هو المراد بذاته.

والأول يراد لكونه وسيلة إليه، فإذا قصد أن يخلص لله ليصير عالماً أو عارفاً أو ذا حكمة أو صاحب مكاشفات وتصرفات ونحو ذلك، فهو هنا لم يرد الله، بل جعل الله وسيلة له إلى ذلك المطلوب الأدنى)[1].

١٩ ـ أن يطلب الدعاء ممن يحسن إليهم أو يصنع لهم معروفًا.

* قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله: (ومن الجزاء أن يطلب الدعاء، قال تعالى عمن أثنى عليهم: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ والدعاء جزاء كما في الحديث: «**من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه**».

وكانت عائشة إذا أرسلت إلى قوم بصدقة تقول للرسول: اسمع ما يدعون به لنا حتى ندعو لهم بمثل ما دعوا لنا ويبقى أجرنا على الله.

وقال بعض السلف: إذا قال لك السائل: بارك الله فيك، فقل: وفيك بارك الله، فمن عمل خيراً مع المخلوقين سواء كان المخلوق نبياً أو ورجلاً صالحاً أو ملكاً من الملوك أو غنياً من الأغنياء، فهذا العامل للخير مأمور بأن يفعل ذلك خالصاً لله بيتغي به وجه الله، لا يطلب به من المخلوق جزاء ولا دعاء ولا غيره، لا من نبي ولا رجل صالح ولا من الملائكة، فإن الله أمر العباد كلهم أن يعبدوه مخلصين له الدين)[2].

---

(١) رسالة الإخلاص والشرك الأصغر (١١)، نقلاً عن درء تعارض النقل والعقل (٦/ ٦٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ١٨٨).

*** مسألة مهمة:**

ما حكم العبادة إذا أريد بها الدنيا؟

* قال الإمام الحطاب المالكي، نقلاً عن القرطبي رحمهما الله: (فالمخلص في عبادته هو الذي يخلصها من شوائب الشرك والرياء، وذلك لا يتأتى له إلا بأن يكون الباعث له على عملها قصد التقرب إلى الله تعالى وابتغاء ما عنده. فأما إذا كان الباعث عليها غير ذلك من أغراض الدنيا، فلا تكون عبادة، بل مصيبة موبقة لصاحبها)[1].

* قال ابن القيم رحمه الله: (فإن قيل: فقد بان بهذا أن العمل لغير الله مردود غير مقبول، والعمل لله وحده مقبول، فبقي قسم آخر وهو أن يعمل العمل لله ولغيره فلا يكون لله محضاً ولا للناس محضاً. فما حكم هذا القسم؟ هل يبطل العمل كله أم يبطل ما كان لغير الله ويصح ما كان لله؟

قيل: هذا القسم تحته أنواع ثلاثة:

أحدها: أن يكون الباعث الأول على العمل هو الإخلاص ثم يعرض له الرياء وإرادة غير الله في أثناءه، فهذا المعول فيه على الباعث الأول ما لم يفسخه بإرادة جازمة لغير الله، فيكون حكمه حكم قطع النية في أثناء العبادة وفسخها، أعني قطع ترك استصحاب حكمها.

الثاني: عكس هذا، وهو أن يكون الباعث الأول لغير الله ثم يعرض له قلب النية لله، فهذا لا يحتسب له بما مضى من العمل، ويحتسب له من حين قلب نيته، ثم إن كانت العبادة لا يصح آخرها إلا بصحة أولها وجبت الإعادة كالصلاة، وإلا لم تجب، كمن أحرم لغير الله ثم قلب نيته لله عند الوقوف والطواف.

---

(١) مواهب الجليل (٢/ ٥٣٢)، وانظر مقاصد المكلفين (٣٧٨).

الثالث: أن يبتدئها مريداً بها الله والناس، فيريد أداء فرضه والجزاء والشكور من الناس، وهذا كمن يصلي بالأجرة، فهو لو لم يأخذ الأجرة صلى، ولكنه يصلي لله والأجرة، وكمن يحج ليسقط الفرض عنه ويقال فلان حج، أو يعطي الزكاة كذلك، فهذا لا يقبل منه العمل.

وإن كانت النية شرطاً في سقوط الفرض وجبت عليه الإعادة، فإن حقيقة الإخلاص التي هي شرط في صحة العمل والثواب عليه لم توجد، والحكم المعلق بالشرط عدم عند عدمه، فإن الإخلاص هو تجريد القصد طاعة للمعبود ولم يأمر إلا بهذا، وإذا كان هذا هو المأمور به فلم يأت به وبقي في عهدة الأمر)[١].

* وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: (وأما العمل لأجل الدنيا وتحصيل أعراضها وأغراضها، فإن كانت إرادة العبد كلها لهذا المقصد ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة، فهذا ليس له في الآخرة من نصيب، وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن، فإن المؤمن ولو كان ضعيف الإيمان لابد أن يريد الله والدار الآخرة.

وأما من عمل العمل لوجه الله ولأجل الدنيا، والقصدان متساويان أو متقاربان، فهذا وإن كان مؤمناً فإنه ناقص الإيمان والتوحيد والإخلاص، وعمله ناقص لفقده كمال الإخلاص)[٢].

* قال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله: (وإذا أراد العبد بعبادته شيئاً آخر ففيه تفصيل حسب الأقسام التالية:

القسم الأول: أن يريد التقرب إلى غير الله تعالى في هذه العبادة ونيل الثناء

---

(١) إعلام الموقعين: ٢/ ١٥٨.

(٢) القول السديد في مقاصد التوحيد، باب من الشرك إرادة الدنيا بعمل الآخرة.

عليها من المخلوقين، فهذا يحبط العمل وهو من الشرك، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**».

القسم الثاني: أن يقصد بها الوصول إلى غرض دنيوي كالرئاسة والجاه والمال دون التقرب بها إلى الله تعالى، فهذا عمله حابط لا يقربه إلى الله تعالى لقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

والفرق بين هذا والذي قبله أن الأول قصد أن يثنى عليه من قبل أنه عابد لله تعالى، وأما هذا الثاني فلم يقصد أن يثنى عليه من قبل أنه عابد لله ولا يهمه أن يثني الناس عليه بذلك.

القسم الثالث: أن يقصد بها التقرب إلى الله تعالى والغرض الدنيوي الحاصل بها مثل: أن يقصد مع نية التعبد لله تعالى بالطهارة تنشيط الجسم وتنظيفه، وبالصلاة تمرين الجسم وتحريكه، وبالصيام تخفيف الجسم وإزالة فضلاته، وبالحج مشاهدة المشاعر والحجاج، فهذا ينقص أجر الإخلاص ولكن إن كان الأغلب عليه نية التعبد فقد فاته كمال الأجر، ولكن لا يضره ذلك باقتراف إثم أو زور لقوله تعالى في الحجاج: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨].

وإن كان الأغلب عليه نية غير التعبد فليس له ثواب في الآخرة وإنما ثوابه ما حصله في الدنيا وأخشى أن يأثم بذلك لأنه جعل العبادة التي هي أعلى الغايات وسيلة للدنيا الحقيرة، فهو كمن قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨].

وفي سنن أبي داوود عن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً قال يا رسول الله: رجل يريد الجهاد وهو يريد عرضاً من عرض الدنيا؟ فقال النبي ﷺ: «**لا أجر له**»، فأعاد ثلاثاً والنبي ﷺ يقول: لا أجر له.

وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**».

وإن تساوى عنده الأمران فلم تغلب نية التعبد ولا نية غير التعبد، فمحل نظر، والأقرب أنه لا ثواب له كمن عمل لله تعالى ولغيره.

والفرق بين هذا القسم والذي قبله أن غرض غير التعبد في القسم السابق حاصل بالضرورة فإرادته إرادة حاصلة بعمله بالضرورة وكأنه أراد ما يقتضيه العمل من أمر الدنيا.

فإن قيل:ما هو الميزان لكون مقصوده في هذا القسم أغلبه التعبد أو غير التعبد؟

قلنا: الميزان أنه إذا كان لا يهتم بما سوى العبادة حصل أم لم يحصل فقد دل على أن الأغلب نية التعبد والعكس بالعكس[1].

علاج إرادة الدنيا بعمل الآخرة:

١ـ أن يعلم المؤمن أن إرادة الدنيا بعمل الآخرة نقص في الإخلاص وإخلال في التوحيد، وشرك ربما يؤدي إلى بطلان العمل وذهاب ثوابه مهما عظم العمل والتضحيات من أجله.

٢ـ الإكثار من مجالسة أهل الزهد والإقلال من مجالسة أهل الدنيا المكثرين منها قولاً وعملاً.

٣ـ أن نعلم أن إرادة الدنيا، ولو كانت عارضة، من أعظم أسباب الفشل

(١) مجموع الفتاوى: ١/ ٩٨).

والفرقة والهزيمة أمام الأعداء، كما حصل للصحابة ﷺ في غزوة أحد، فما بالك بمن كانت إرادة الدنيا هي باعثه ومحركه، نسأل الله أن يصلح قلوبنا ومقاصدنا.

٤ـ معرفة حقيقة إرادة الدنيا بعمل الآخرة، ومتى يكون ذلك محرماً.

٥ـ اللجوء إلى الله تعالى بكثرة الدعاء.

٦ـ أن يعلم المؤمن أن ما أعده الله لعباده الصالحين من الأجر العظيم والجزاء الكريم والفضائل العميمة في الآخرة، إنما يراد بها تحقيق العبودية لله تعالى بفعل أوامره وترك نواهيه، ولم تذكر تلك الفضائل لأن تكون مقصودة بذاتها ولكنها ذكرت لعلم الله تعالى أن النفوس تتشوق لها ولهذا نرى هذه الدواعي الشرعية تكثر في بعض الأعمال الشاقة على النفس دون غيرها[1].

٧ـ تجريد القصد لله تعالى وتحقيق التوحيد في كل عبادة يقوم بها المسلم لأن ذلك هو غاية الخلق الذين خلقهم الله تعالى لعبادته وحده سبحانه دون سواه حتى الجنة وما ذكر فيها من نعيم، ليست غاية العبد في عبادته وإنما يطلبها ويرجو نعيمها لأن الله ذكرها ثواباً لعباده الصالحين، وكذلك النار والعياذ بالله، يخافها المؤمن لأنها عقاب الله وعذابه الذي توعد به من عصاه وخالف أمره سبحانه، وليس خوفاً من النار ذاتها.

٨ـ أن نعلم أن ما يتحصل عليه المؤمن من فضائل الدنيا وثوابها قد يزاحم ما أعد الله له في الآخرة من الثواب قال ﷺ: «**ما من غازية تغزو في سبيل الله، فيصيبون الغنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة ويبقى لهم الثلث، فإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم**» رواه مسلم وغيره.

قال النووي رحمه الله: (وأما معنى الحديث فالصواب الذي لا يجوز غيره أن الغزاة إذا سلموا أو غنموا يكون أجرهم أقل من أجر من لم يسلم، أو سلم ولم

(١) مقاصد المكلفين ٣٥٣.

يغنم، وأن الغنيمة في مقابلة جزء من أجر غزوهم، فإذا حصلت لهم فقد تعجلوا ثلثي أجرهم المترتب على الغزو، وتكون هذه الغنيمة من جملة الأجر وهذا موافق للأحاديث الصحيحة المشهورة عن الصحابة، كقوله: منا من مات ولم يأكل من أجره شيئاً، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها، أي يجتنيها، فهذا الذي ذكرنا هو الصواب)[١].

٩ـ أن نعلم أن الدنيا مهما عظمت فهي حقيرة ولذلك قال ﷺ في الحديث الذي مر معنا (ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)، إشارة إلى حقارة الدنيا.

وقال ﷺ: «**لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى كافر منها شربة ماء**»[٢].

١٠ـ أن نعلم أن الغنى الحقيقي ليس بكثرة الحصول على الدنيا ولكنه بقدر استغناء النفس عنها، قال ﷺ: «**ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس**» متفق عليه.

١١ ـ أن نعلم كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه[٣].

١٢ـ أن نعلم أن النبي ﷺ قد دعا على من تعلق بالدنيا وأصبح يرضى ويغضب من أجلها بالتعاسة والكسل وفوات كل مطلوب وحصول كل مكروه كما مر معنا في قوله ﷺ: تعس عبد الدينار...الخ.

١٣ـ أن نعلم أن من صفات عباد الله المخلصين أنهم لا يهمهم موقعهم ومكانتهم في الدنيا.

---

(١) شرح مسلم، حديث رقم (١٩٥).

(٢) رواه الترمذي، صحيح الجامع:٥٢٩٢.

(٣) انظر كتاب الرقاق باب كيف كان عيش النبي ﷺ من صحيح البخاري.

١٤ـ أن نعلم أن المسلم كلما حقق التوحيد كلما هانت عليه مشقة التكاليف وصغرت في عينه الدنيا أمام عظمة الخالق سبحانه.

١٥ـ أن نعلم أن من أعظم أسباب محبة الرب سبحانه للعبد أن يكون زاهداً في الدنيا، قال ﷺ: «**ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس**»[١]. رواه البيهقي والحاكم.

١٦ـ أن نعلم أن التعلق بالدنيا والانشغال بها هموم وغموم عاجلة تكاد تهلك أصحابها.

قال ﷺ: «**من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له**» رواه الترمذي[٢].

النار آخر دينار نطقت به والهم آخر هذا الدرهم الجاري
والمرء بينهما ما لم يكن ورعاً معذب بين الهم والنار

(١) صحيح الجامع: ٩٢٢.
(٢) صحيح الجامع (٦٥١٠).

مزالق وتنبيهات
في علاج إرادة الدنيا بعمل الآخرة

يبالغ بعض الناس في تحرى الإخلاص والسلامة من الشرك فيحكم على كل عبادة أراد بها صاحبها مقصداً دنيوياً بالبطلان مطلقاً دون تفصيل ولا تفريق.

بل وصل الأمر بهم إلى تحريم قصد الثواب الأخروي أيضاً وأنه يجب على العبد أن يقوم بما أمر به من غير أن يسأل الله الجنة أو يستعيذ به من النار.

وقد غاب عن هؤلاء أن الشريعة جاءت لتحقيق مصالح العباد وجلبها ودرء المفاسد وتقليلها، كما غاب عنهم أن الإنسان بطبعه وفطرته التي فطره الله عليها لا يمكن أن ينفك عن الالتفات إلى المقاصد والحظوظ الدنيوية والأخروية.

وقد قضى القاضي أبو بكر الباقلاني (بتكفير من يدعي البراءة من الحظوظ، وقال: هذا من صفات الإلهية)[1].

والمعنى: أن الذي لا يحتاج من أحد جزاء ولا شكوراً، المستغني من كل وجه، هو الله سبحانه تعالى.

والصحيح في هذا المسألة التفريق والتفصيل كما يلي:

*** المقاصد والحظوظ الدنيوية:**

من عبد الله تعالى مخلصاً له سبحانه، ومستشعراً ومستحضراً ما وعده الله تعالى من الجزاء الدنيوي مما وردت به النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، فإن ذلك لا يقدح في إخلاصه لله تعالى، مع أن هذه الأغراض المخالطة للعبادة قد تنقص الأجر، وأن العبادة إذا تجردت عنها زاد الأجر وعظم الثواب.

---

(١) انظر إحياء علوم الدين ٤/ ٤٠٠، مقاصد المكلفين (٣٨٣).

* قال القرافي رحمه الله: (وأما مطلق التشريك[١] كمن يجاهد لتحصيل طاعة الله بالجهاد، وليحصل له المال من الغنيمة، فهذا لا يضره ولا يحرم عليه بالإجماع، لأن الله جعل له هذا في العبادة ففرق بين جهاده ليقول الناس: هذا شجاع أو ليعظمه الإمام فيكثر عطاؤه من بيت المال، هذا ونحوه رياء وحرام.

وبين أن يجاهد لتحصيل السبايا والكراع والسلاح من جهة أموال العدو[٢]، مع أنه قد شرك، ولا يقال هذا رياء بسبب أن الرياء أن يعمل ليراه غير الله من خلقه، والرؤية لا تصح إلا من الخلق.

وكذلك من حج وشرك في حجه غرض المتجر[٣] ومن صام ليصح جسده، أو ليحصل له زوال مرض من الأمراض التي ينافيها الصوم ولا يقدح هذا في صومه، بل أمر بها صاحب الشرع في قوله ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»[٤] أي قاطع.

فأمر الرسول ﷺ بالصوم لهذا الغرض ولو كان ذلك قادحاً لم يأمر به عليه الصلاة والسلام في العبادات[٥].

فهذه الأغراض لا يدخل فيها تعظيم الخلق، بل هي تشريك أمور من المصالح ليس لها إدراك ولا تصلح للإدراك ولا للتعظيم، فلا تقدح في العبادات.

نعم لا يمنع أن هذه الأغراض المخالطة للعبادة قد تنقص الأجر، وأن

---

(١) أي مجرد التشريك.

(٢) قال ﷺ (من قتل قتيلاً فله سلبه) متفق عليه (أي في حال الحرب).

(٣) قال تعالى ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]. قال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم : نزلت في التجارة في الحج، انظر تفسير ابن كثير.

(٤) متفق عليه.

(٥) وكقوله ﷺ (من أحب أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه) متفق عليه.

العبادة إذا تجردت عنها زاد الأجر والثواب أما الإثم والبطلان، فلا سبيل إليه، ومن جهته حصل الفرق، لا من جهة كثرة الثواب وقلته)[١].

* قال الشاطبي رحمه الله: (فحظوظ النفوس المختصة بالإنسان، لا يمنع اجتماعها مع العبادات إلا ما كان بوضعه منافيا لها كالحديث والأكل والشرب والنوم والرياء وما أشبه ذلك.

أما ما لا منافاة فيه فكيف يقدح القصد إليه في العبادة؟ هذا لا ينبغي أن يقال، غير أنه لا ينازع في أن إفراد قصد العبادة عن قصد الأمور الدنيوية أولى[٢].

* وقد سئل الشيخ عبد العزيز بن باز، رحمه الله: عمن يصوم ليخفف من وزنه؟ فقال (إذا نفع فلا بأس، يصوم لله ويرى أن هذا علاج، لا بأس)[٣].

*** مسألة مهمة:**

ما حكم أخذ الرواتب على الوظائف الدينية كالآذان والإمامة والخطابة والدعوة والتعليم والقضاء وما شابهها؟

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الحمد لله، أما تعليم القرآن والعلم بغير أجرة فهو أفضل الأعمال، وأحبها إلى الله، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام، ليس هذا مما يخفى على أحد ممن نشأ بديار الإسلام، والصحابة والتابعون وتابعو التابعين، وغيرهم من العلماء المشهورين عند الأمة بالقرآن والحديث والفقه، إنما كانوا يعلمون بغير أجرة، ولم يكن فيهم من يعلم بأجرة أصلاً.

---

(١) الفروق، الفرق الثاني والعشرون والمائة، ٣/ ٤٤، بتصرف يسير، وانظر الإخلاص والشرك الأصغر (٢١).

(٢)الموافقات ٢/ ١٦٩

(٣) شرح بلوغ المرام، كتاب الصيام، الشريط الأول.

وتعليم القرآن والحديث والفقه وغير ذلك بغير أجرة لم يتنازع العلماء في أنه عمل صالح، فضلاً عن أن يكون جائزاً، بل هو من فروض الكفاية، فإن تعليم العلم الذي بينه فرض على الكفاية، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**بلغوا عني ولو آية**» وقال: «**ليبلغ الشاهد الغائب**».

وإنما تنازع العلماء في جواز الاستئجار على تعليم القرآن والحديث والفقه، على قولين مشهورين، هما روايتان عن أحمد.

إحداهما: وهو مذهب أبي حذيفة وغيره: أنه لا يجوز الاستئجار على ذلك.

الثانية: وهو قول الشافعي: أنه يجوز الاستئجار.

وفيها قول ثالث في مذهب أحمد: أنه يجوز مع الحاجة، دون الغنى، كما قال تعالى في ولي اليتيم: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦].

ويجوز أن يعطى هؤلاء من مال المسلمين على التعليم، كما يعطى الأئمة والمؤذنون والقضاة، وذلك جائز مع الحاجة.

وهل يجوز الإرتزاق مع الغنى؟ على قولين للعلماء.

ومأخذ العلماء في عدم جواز الاستئجار على هذا النفع: أن هذه الأعمال يختص أن يكون فاعلها من أهل القرب بتعليم القرآن، والحديث، والفقه، والإمامة، والآذان، لا يجوز أن يفعله كافر، ولا يفعله إلا مسلم، بخلاف النفع الذي يفعله المسلم والكافر، كالبناء، والخياط، والنسج، ونحو ذلك، وإذا فعل العمل بالأجرة لم يبق عبادة لله، فإنه يبقى مستحقاً بالعوض، معمولاً لأجله والعمل إذا عمل للعوض لم يبق عبادة، كالصناعات التي تعمل بالأجرة.

فمن قال: لا يجوز الاستئجار على هذه الأعمال، قال: إنه لا يجوز إيقاعها على غير وجه العبادة لله، كما لا يجوز إيقاع الصلاة والصوم والقراءة على غير

وجه العبادة لله والاستئجار يخرجها عن ذلك.

ومن جوز ذلك قال: إنه نفع يصل إلى المستأجر، فجاز أخذ الأجرة عليه، كسائر المنافع، قال: وإذا كانت العبادة في هذه الحال، لا تقع على وجه العبادة، فيجوز إيقاعها على وجه العبادة، وغير وجه العبادة، لما فيها من النفع.

ومن فرق بين المحتاج وغيره ـ وهو أقرب ـ قال: المحتاج إذا اكتسب بها أمكنه أن ينوي عملها لله، ويأخذ الأجرة ليستعين بها على العبادة، فإن الكسب على العيال واجب أيضاً، فيؤدي الواجبات بهذا، بخلاف الغني، لأنه لا يحتاج إلى الكسب، فلا حاجة تدعوه أن يعملها لغير الله، بل إذا كان الله قد أغناه، وهذا فرض على الكفاية، كان هو مخاطباً به، وإذا لم يقم إلا به كان ذلك واجباً عليه عينا، والله أعلم)[1].

* وقال الحجاوي رحمه الله في زاد المستقنع ـ باب الأذان والإقامة ـ: (وتحرم أجرتهما، لا رزق من بيت المال لعدم متطوع).

*قال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله، شارحاً هذه العبارة: (قوله "وتحرم أجرتهما" أي أن يعقد عليهما عقد إجارة بأن يستأجر شخصاً يؤذن أو يقيم، لأنهما قربة من القرب وعبادة من العبادات، والعبادات لا يجوز أخذ الأجرة عليها، لقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾، ولأنه إذا أراد بأذانه أو إقامته الدنيا بطل عمله فلم يكن أذانه ولا إقامته صحيحة، قال ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**». وأما الجعالة: بأن يقول من أذن في هذا المسجد فله كذا وكذا

(١) مجموع الفتاوى (٣٠/ ٢٠٤/ ٢٠٨) بتصرف يسير، وانظر إتماماً للفائدة : المغنى ٢/ ٧٠، ومواهب الجليل ١/ ٤٩٠، الأوسط لابن المنذر ٣/ ٦٢.

دون عقد وإلزام، فهذه جائزة.، لأنه لا إلزام فيها فهو كالمكافأة لمن أذن، ولا بأس بالمكافأة لمن أذن وكذلك الإقامة.

قوله: "لا رزق من بيت المال" الرزق بفتح الراء: الإعطاء، والرزق بكسر الراء: المرزوق، فلا يحرم أن يعطى المؤذن والمقيم عطاءًا من بيت المال، وهو ما يعرف في وقتنا بالراتب لأن بيت المال إنما وضع لمصالح المسلمين، والأذان والإقامة من مصالح المسلمين.

قوله: "لعدم متطوع" هذا شرط لأخذ الرزق،فإن وجد متطوع أهل فلا يجوز أن يعطى من بيت المال،حماية لبيت المال من أن يصرف دون حاجة إلى صرفه، وبهذا الذي قرره الفقهاء يعرف تحريم استغلال بيت المال بغير مسوغ شرعي)[1].

*** مسألة أخرى:**

قال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله في معرض حديثه عن بعض أمثلة إرادة الإنسان بعمله الدنيا: (فإن قيل هل يدخل فيه من يتعلمون في الكليات أو غيرها يريدون شهادة أو مرتبة بتعلمهم؟

فالجواب: أنهم يدخلون في ذلك إذا لم يريدوا غرضاً شرعياً، فنقول لهم: ـ

أولاً: لا تقصدوا بذلك المرتبة الدنيوية، بل اتخذوا هذه الشهادات وسيلة للعمل في الحقول النافعة للخلق، لأن هذه الأعمال في الوقت الحاضر مبنية على الشهادات، والناس لا يستطيعون الوصول إلى منفعة الخلق إلا بهذه الوسيلة، وبذلك تكون النية سليمة.

ثانياً: أن من أراد العلم لذاته، قد لا يجده إلا في الكليات فيدخل الكلية أو

(١) الشرح الممتع (٢/ ٤٨ ـ ٤٩).

نحوها لهذا الغرض، وأما بالنسبة للمرتبة، فإنها لا تهمه.

ثالثاً: أن الإنسان إذا أراد بعمله الحسنيين حسنى الدنيا وحسنى الآخرة ـ فلا شيء عليه لأن الله يقول: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣].

فرغبه في التقوى بذكر المخرج من الضيق والرزق من حيث لا يحتسب.

فإن قيل: من أراد بعلمه الدنيا، كيف يقال إنه مخلص مع أنه أراد المال مثلاً؟

أجيب: إنه أخلص العبادة ولم يرد بها الخلق إطلاقاً فلم يقصد مراءاة الناس ومدحهم، بل قصد أمراً مادياً فإخلاصه ليس كاملاً لأن فيه شركاً، ولكن ليس كشرك الرياء، يريد أن يمدح بالتقرب إلى الله وهذا لم يرد مدح الناس بذلك، بل أراد شيئاً دنيئا غيره.

ولا مانع أن يدعو الإنسان في صلاته ويطلب أن يرزقه الله المال، ولكن لا يصلي من أجل هذا الشيء، فهذه مرتبة دنيئة، وأما طلب الخير في الدنيا بأسبابه الدنيوية، كالبيع والشراء والزراعة فهذا لا شيء فيه.

فالأصل أن لا تجعل في العبادات نصيباً من الدنيا.

ملاحظـــــــة:

بعض الناس عندما يتكلمون على فوائد العبادات يحولونها إلى فوائد دنيوية، فمثلاً يقولون في الصلاة: رياضة وإفادة للأعصاب، وفي الصيام: فائدة إزالة الرطوبة، وترتيب الوجبات.

والمفروض ألا نجعل الفوائد الدنيوية هي الأصل لأن الله لم يذكر في كتابه، بل ذكر أن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر، وعن الصوم أنه سبب للتقوى.فالفوائد الدينية في العبادات هي الأصل والدنيوية ثانوية، لكن عندما نتكلم عند عامة الناس، فإننا نخاطبهم بالنواحي الدينية، وعندما نتكلم عند من

لا يقتنع إلا بشيء مادي، فإننا نخاطبه بالنواحي الدينية والدنيوية، ولكل مقام مقال[١].

*** وأما المقاصد والأغراض الأخروية:**

لقد ذكر الله تعالى في كتابه الجنة ونعيمها ومدح عباده الذين يسألونه إياها، ووعدهم سبحانه بإجابة دعائهم بمنه وفضله، كما ذكر سبحانه النار وعذابها، ومدح عباده الذين يستعيذون به منها ووعدهم بإنقاذهم منها بفضله ورحمته.

فإذا عبد الإنسان ربه مخلصاً له ومعترفاً بربوبية وألوهيته وأنه المستحق للعبادة وحده سبحانه دون ما سواه، ومستشعراً ومستحضراً في الوقت نفسه ما وعده الله من الجزاء الأخروي والنعيم السرمدي، فإن ذلك لا يقدح في إخلاصه بل هذا هو الحق وهو دين الله تعالى وهدي نبيه ﷺ وهدي السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

* قال الشاطبي رحمه الله: (فإن كان ـ الحظ المطلوب ـ أخروياً، فهذا حظ قد أثبته الشرع حسبما تقدم، وإذا ثبت شرعاً فطلبه من حيث أثبته صحيح إذ لم يتعد ما حده الشارع، ولا أشرك مع الله في ذلك العمل غيره، ولا قصد مخالفته، إذ قد فهم من الشارع حين رتب على الأعمال جزاءاً أنه قاصد لوقوع الجزاء على الأعمال فصار العامل ليقع له الجزاء، عاملاً لله وحده على مقتضى العلم الشرعي وذلك غير قادح في إخلاصه، لأنه علم أن العبادة المنجية والعمل الموصل، ما قصد به وجه الله، لا ما قصد به غيره لأنه عز وجل يقول: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ * أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ٤١]، إلى قوله تعالى ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الصافات: ٤٣]، فإذا كان قد رتب الجزاء على العمل المخلص، ومعنى كونه مخلصاً أن لا يشرك معه في العبادة غيره، فهذا قد عمل

(١) القول المفيد ٢/ ١٣٦

على وفق ذلك، وطلب الحظ ليس بشرك إذ لا يعبد الحظ نفسه، وإنما يعبد من بيده بذل الحظ المطلوب وهو الله تعالى، لكن لو أشرك مع الله من ظن بيده بذل حظ ما من العباد، فهذا هو الذي أشرك حيث جعل مع الله غيره في ذلك الطلب بذلك العمل، والله لا يقبل عملاً فيه شرك ولا يرضى بالشرك وليست مسألتنا من هذا)[١].

* قال ابن القيم رحمه الله: (والقرآن والسنة مملوءان من الثناء على عباده وأوليائه بسؤاله الجنة ورجائها، والاستعاذة من النار والخوف منها والعمل على طلب الجنة والنجاة من النار مقصود للشارع من أمته ليكونوا دائماً على ذكر منهم فلا ينسونهما. ولأن الإيمان بهما شرط في النجاة، والعمل على حصول الجنة والنجاة من النار: هو محض الإيمان)[٢].

(١) الموافقات ٢/ ١٦٤.

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٧٧) وقد ذكر ابن قيم كلامًا موسعاً في هذا الموضوع.

سبيل الخلاص: الإخلاص في التوحيد

الأمثلة على الشرك الخفي كثيرة ومتنوعة ومتداخلة، يصعب حصرها، لأنها تتعلق بأعمال ومقاصد القلوب، والقلب إنما سمي قلباً لكثرة تقلبه، نسأل الله أن يصرف قلوبنا على حبه والإخلاص له سبحانه.

وقد مر معنا قول العلماء عن الشرك الخفي: (فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقل من ينجو منه).

وسبيل الخلاص والنجاة من هذا الشرك الخفي بجميع صوره وأشكاله وقليله وكثيره أن نلجأ إلى الله تعالى بالدعاء والإلحاح فيه ليل نهار بأن يعافينا الله تعالى ويعيذنا من هذا الشرك الخفي، كما أرشدنا النبي ﷺ.

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل، فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال قولوا: اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه**» رواه الإمام أحمد والطبراني وأبو يعلى[1].

وروى البخاري رحمه الله في كتاب الأدب المفرد برقم (٧١٦) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يا أبا بكر للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل**». فقال أبو بكر: وهل الشرك إلا من جعل مع الله إلهاً آخر؟ فقال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده للشرك أخفى من دبيب النمل، ألا أدلك على شيء إذا فعلته ذهب عنك قليله وكثيره، قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم**

(١) قال الساعاتي رحمه الله في الفتح الرباني (١٤/ ٣٠٤) : إسناده جيد. وقال الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم (٣٦) : حسن لغيره.

وأستغفرك لما لا أعلم»[1].

وبعد ذلك علينا أن نجتهد في إخلاص التوحيد لله تعالى ومجاهدة النفس في ذلك والحذر من تقلبات القلب.

والتوحيد كما هو معروف هو: إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة.

والإخلاص في التوحيد: هو التطبيق العملي للتوحيد، أي توحيد القصد لله تعالى وتصفيته من كل ما يشوبه أو يقدح فيه.

وبهذا يجب أن نعلم أنه ليس كل موحد مخلصًا وكاملاً وصادقًا في توحيده، وقد مر معنا حديث أول ثلاثة تسعر بهم النار يوم القيامة (عالم وجواد ومقاتل) مع أنهم موحدون ولن يخلدوا في النار، وإنما استوجبوا ذلك للتمحيص والعقاب لما معهم من شرك وضعف إخلاص في التوحيد.

ولذلك حث النبي ﷺ على الإخلاص والصدق في التوحيد وذلك بالعمل بموجب كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) التي تستوجب وتقتضي العمل لله تعالى بصدق وإخلاص ويقين.

قال ﷺ: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله تعالى على النار**» رواه البخاري ومسلم من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه**» رواه البخاري.

* قال شيخ الإسلام ابن تيميه وغيره من العلماء كابن القيم وابن رجب والمنذري والقاضي عياض رحمهم الله: (فمن قال: لا إله إلا الله، ولم يقم بموجبها، بل اكتسب مع ذلك ذنوباً، كان صادقاً في قولها مؤقناً بها ـ لكن له ذنوب أضعفت صدقه ويقينه ـ وانضاف إلى ذلك الشرك الأصغر العملي:

(١) وقد صححه الألباني رحمه الله في صحيح الأدب المفرد.

رجحت هذه السيئات على هذه الحسنة، ومات مصراً على الذنوب.

بخلاف من يقولها بيقين وصدق ؛ فإنه: إما أن لا يكون مصراً على سيئة أصلاً، أو يكون توحيده ـ المتضمن لصدقه ويقينه ـ رجح حسناته.

والذين يدخلون النار[١] ممن يقولها: لم يقولوها بالصدق واليقين التامين المنافيين للسيئات، أو لرجحانها، أو قالوها واكتسبوا بعد ذلك سيئات رجحت على حسناتهم، ثم ضعف لذلك صدقهم ويقينهم، ثم لم يقولوها بعد ذلك بصدق ويقين تام، لأن الذنوب قد أضعفت ذلك الصدق واليقين من قلوبهم. فقولها من مثل هؤلاء: لا يقوى على محو السيئات، فترجح سيئاتهم على حسناتهم)[٢].

فما هو الإخلاص؟ وما حكمه؟ وهل هو مستحيل؟ وما هي ثمراته؟

وسأتكلم عن هذه الأشياء باختصار شديد لأن المقصود الإشارة إلى هذه الأمور، وإلا فبسط الكلام فيها يحتاج إلى كتاب مستقل.

* مفهوم الإخلاص وتعريفه:

الإخلاص لغة: مصدر خلص يخلص، وهو مأخوذ من مادة (خ ل ص) التي تدل على تنقية الشيء وتهذيبه.

ومدار الإخلاص في اللغة على الصفاء والنقاء والسلامة من مخالطة الشوائب[٣].

وفي الاصطلاح:

قال الجرجاني: (تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفائه)[٤].

---

(١) أي دخول تمحيص وعقاب.

(٢) تيسير العزيز الحميد (٩٠)، وفتح المجيد (٥٤).

(٣) انظر معجم مقاييس اللغة، مقاصد المكلفين (٣٥٨).

(٤) التعريفات (١٨).

* وقال أبو القاسم القشيري: (إفراد الحق سبحانه وتعالى في الطاعات بالقصد ن وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من تصنع لمخلوق، واكتساب محمدة عند الناس أو محبة مدح من الخلق، أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله ﷻ)[١].

* وقال في موضع آخر: (يصح أن يقال: الإخلاص تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين)[٢].

* وقال الحارث المحاسبي: (الإخلاص إخراج الخلق عن معاملة الرب)[٤].

* وقال سهل بن عبد الله التستري: (الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة)[٥].

* قال ابن القيم رحمه الله: (وقد تنوعت عباراتهم في الإخلاص والصدق، والقصد واحد فقيل: هو إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة.

وقيل: الإخلاص: التوقي من ملاحظة الخلق، حتى عن نفسك، والصدق: التوقي من مطالعة النفس، فالمخلص لا رياء له، والصادق لا إعجاب له، ولا يتم الإخلاص إلا بالصدق، ولا الصدق إلا بالإخلاص، ولا يتمان إلا بالصبر.

وقيل: الإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن.

وقيل: الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق.

قال صاحب المنازل: الإخلاص: تصفية العمل من كل شوب أي لا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادات النفس، إما طلب التزين في قلوب الخلق، وإما طلب مدحهم والهرب من ذمهم، أو طلب تعظيمهم، أو طلب أموالهم أو

(١) مقاصد المكلفين (٣٥٨).

(٢)(٤)(٥) المصدر السابق.

خدمتهم ومحبتهم، وقضائهم حوائجه، أو غير ذلك من العلل والشوائب، التي عقد متفرقاتها هو إرادة ما سوى الله بعمله، كائنا من كان)[١].

*** حكم الإخلاص وأهميته:**

أجمع العلماء على أن الأعمال القلبية أعظم وأهم وأكد من أعمال الجوارح.

وأهم الأعمال القلبية: إخلاص الدين لله تعالى فهو أعظم أصول الإيمان وقواعد الدين، وهو بمنزلة الروح من الجسد.

وقد أجمع العلماء على فرضية الإخلاص ووجوبه وأن العمل بدونه يكون هباءاً منثوراً[٢].

وقد مر معنا من خلال النصوص السابقة في أنواع الشرك الخفي ما يبين ذلك بكل وضوح وجلاء بحمد الله تعالى مما يغني عن إعادته هنا.

*** مسألة:**

هل الإخلاص مستحيل؟

كثيراً ما يمر معنا أقوال وآثار لبعض السلف عن صعوبة تحصيل الإخلاص وشدته، كقول سفيان الثوري رحمه الله: (ما عالجت شيئاً علي أشد من نيتي إنها تتقلب علي).

وقول سهل بن عبد الله لما سئل: أي شيء أشد على النفس؟

قال: الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب.

ونحو ذلك من الآثار والأقوال، مما قد يفهم منها البعض صعوبة الإخلاص

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٩١.

(٢) مقاصد المكلفين (٣٧٧) وانظر فتاوى ابن تيمية (٢٦/ ٢٤) (٢٠/ ٧٠)، جامع العلوم والحكم لابن رجب، الحديث الأول، ومدارج السالكين ٢/ ٩٠، وكتاب الإخلاص لحسين عوايشه، رسالة الإخلاص والشرك الأصغر (٤).

ﷻ تعالى واستحالته، وليس الأمر كذلك.

إذ لو كان الإخلاص مستحيلاً لما كلفنا ﷻ تعالى به ولكن الصحيح أن الإخلاص صعب ويحتاج إلى مجاهدة ومتابعة ويقظة وحذر، فهو من أشق الأمور على النفس، وقد عانى من هذه المشقة كثير من العلماء والصالحين والأئمة.

فالواجب على العبد أن يخلص عمله ﷻ تعالى وأن يبذل في سبيل ذلك كل ما يستطيع، ولا ييأس بل يصبر ويصابر ويجاهد نفسه فإنه على خير بإذن تعالى، ومن صدق مع ﷻ صدق ﷻ معه، وﷻ تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

*** تنبيه مهم:**

يظن بعض الناس أن الإخلاص والصدق يعني عدم مدارة الناس وعدم مجاملتهم، ومواجهتم بما يكرهون والإغلاظ عليهم في القول والنصح، وعدم التلطلف في العبارة وعدم مراعاة المصالح والمفاسد في الأقوال والأفعال وبالتالي يصبح المخلص في حياته مكروها ومبغوضاً عند الناس وينفر منه المجتمع، ولا يمكن أن يتحمله أحد، كما لا يمكنه هو أن يتحمل نفسه، وليس الأمر كذلك.

وفي الحقيقة أن هذه الأوهام من إيحاءات النفس الأمارة بالسوء التي تصور الفضائل في صورة مذمومة تنفر منها الطباع، فتشين الإخلاص والصدق في قلوب العباد ليستثقلوه ويكرهوه، وإلا فإن الإخلاص والصدق لا يتنافى مع المداراة ولين الكلام وخفض الجناح والحياء والتودد إلى الناس، وترك الإغلاظ لهم في القول، وما شابه ذلك من الأخلاق الفاضلة التي تزيد الألفة والمحبة بين المؤمنين مما حث عليها ديننا الحنيف[1].

* قال ابن القيم رحمه ﷻ: (عن النفس الأمارة): (وتريه صورة الإخلاص في

(١) انظر فتح الباري (١٠/ ٥٢٨).

صورة ينفر منها، وهي الخروج عن حكم العقل المعيشي والمداراة والمداهنة التي بها اندراج حال صاحبها ومشيه بين الناس، فمتى أخلص أعماله ولم يعمل لأحد شيئاً تجنبهم وتجنبوه وأبغضهم وأبغضوه، وعاداهم وعادوه وسار على جادة، فينفر من ذلك أشد النفار)[١].

*** تنبيه آخر:**

من أراد أن يكمل له إخلاصه ونصحه لله تعالى فليخلص ولينصح لعباد الله عز وجل وفي جميع شؤونه وأحواله، ولا يكمل دين المسلم إلا بتمام ذلك كله.

قال ﷺ: «**الدين النصيحة، قالوا: لمن يا رسول الله، قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**» رواه مسلم وغيره.

وقال ﷺ: «**إن من شر الناس عند الله يوم القيامة ذا الوجهين**» رواه البخاري ومسلم

وقال ﷺ: «**ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم فإن الدعوة تحيط من ورائهم**»[٢]. رواه الإمام أحمد وأبو داوود والترمذي والحاكم.

نسأل الله أن يصلح ظواهرنا وبواطننا وأن يرزقنا الإخلاص في الأمور كلها إنه قريب مجيب.

اللهم إنا نسألك الصدق في الإيمان والإخلاص في التوحيد.

---

(١) كتاب الروح (٢٠٧).

(٢) صحيح الجامع: ٦٧٦٦

ثمرات التوحيد والإخلاص

لقد مر معنا في طرق ووسائل علاج أنواع الشرك الخفي بعض الطرق والوسائل التي هي في الوقت نفسه وسائل وطرق لتحصيل الإخلاص، كما تضمنت تلك العلاجات فضائل وثمرات الإخلاص، ومن ثمرات الإخلاص وفوائده بالإضافة إلى ما سبق[١]:

١- زيادة الإيمان وكماله، كلما قوي التوحيد والإخلاص.

٢- السلامة من الشرك قليله وكثيره.

٣- محبة الله تعالى وملائكته للمخلصين ونصره ورعايته ومعيته الخاصة وحفظهم.

٤- قبول الأعمال ومضاعفة الثواب ولو كان العمل يسيراً.

٥- عصمة الله للمخلصين والموحدين من السوء والفحشاء.

٦- من أعظم أسباب النجاة من عذاب يوم القيامة وأهوالها.

٧- الفوز بأعلى مراتب ودرجات الجنة.

٨- القبول في الأرض والصيت الطيب والهيبة في قلوب الخلق.

٩- يكتب للمخلص ما كان يعمل إذا مرض أو سافر أو عرض له عذر يمنعه من عبادته التي كان يعملها.

١٠- تفريج كربات الدنيا والآخرة.

١١- الشعور بالعزة والغنى والسلامة من الذل والهوان للناس والتحرر من العبودية لغير الله.

---

(١) تركت التفصيل والتدليل على هذه الثمرات خشية الإطالة والتكرار.

١٢- الزهد في الدنيا وقوة التعلق بالآخرة.
١٣- النصر على الأعداء والثبات والتمكين في الأرض والسلامة من الهزائم والانتكاسه.
١٤- الأمن والأمان والهداية والتوفيق من الله تعالى في الدنيا والآخرة والتسديد في القول والعمل والتفريق بين الحق والباطل والسلامة من تخبطات الشيطان ومكائده
١٥- طمأنينة القلب وسلامته من الخواطر الفاسدة والغل والضغائن والغش والحسد والشعور بالسعادة الحقيقة والحياة الطيبة وانشراح الصدر.
١٦- الشجاعة والإقدام وعدم التردد.
١٧- تكفير السيئات ومغفرة الله وعفوه كلما قوي الإخلاص والتوحيد.
١٨- حفظ الله للمخلصين في أنفسهم وأموالهم وذرياتهم وحاضرهم ومستقبلهم.
١٩- تزكية النفس وسلامتها من الأخلاق الرذيلة ومن أقبحها النفاق والرياء واتباع الهوى والعجب ونحو ذلك.
٢٠- قدوة حسنة ودعوة صامتة وتشجيع للآخرين وترغبيهم في الإخلاص.
٢١- جمال الوجه وبهاء الصورة، لأن ما في القلب ينعكس على الوجه.
٢٢- تحقيق الولاء والبراء في معاملة الناس.
٢٣- حب العبادات والتلذذ بها والاستكثار منها وبغض المعاصي والمنكرات والنفرة منها.
٢٤- المخلصون هم خير الناس وصفوة الخلق والمؤمنون حقاً.
٢٥- إجابة الدعاء لاسيما في الضراء وعند الكرب.
٢٦- حسن الخاتمة والسلامة من تخبطات الشيطان عند الموت.

٢٧- مصاحبة الصالحين أهل الإخلاص والسلامة من صحبة أهل النفاق.
٢٨- كفاية الله للمخلص في إصلاح ما بينه وبين الناس.
٢٩- تيسير الرزق وسعته والبركة في المال والعمر والولد.
٣٠- الثبات في المحن وعند ظهور الفتن والتسلية عند المصائب وتحمل الشدائد.
٣١- من أعظم أسباب الوصول إلى مرتبة الإحسان الذي هو أعلى مراتب الدين
٣٢- الإخلاص والتوحيد هو إسلام الوجه لله تعالى والاستمساك بالعروة الوثقى.
٣٣- صلاح المجتمع واستقامته وحل مشكلاته وإصلاح ذات البين بين أفراده.
٣٤ـ نجاح الأعمال وبركتها وقوة تأثيرها واستمرارها.
٣٥ـ من أعظم أسباب نيل شفاعة النبي ﷺ.
٣٦- علو الهمة في الدعوة إلى الله والثقة بوعد الله وعدم اليأس والقنوط.
٣٧- دوام محاسبة النفس، وقبول النصح من الآخرين.
٣٨- مرافقة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾ [النساء: ٦٩].

تم الكتاب والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهم المصادر والمراجع
(بعد كتاب الله تعالى وكتب التفسير وكتب السنة)
التي ورد ذكرها في الكتاب[١]

١- إحياء علوم الدين[٢] للإمام الغزالي ٥ مجلدات، طبعة دار الكتب العلمية "بيروت".
٢- رسالة الإخلاص والشرك الأصغر- لعبد العزيز العبد اللطيف طبعة دار الوطن الرياض ١٤١٢هـ
٣- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح فوزان الفوزان، طبعة دار الذخائر بالدمام ١٤١٤ هـ.
٤- إعانة المستفيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ مؤسسة الرسالة "بيروت" مجلدان.
٥- تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله محمد بن عبد الوهاب، توزيع دار أحد.
٦- التعليق المفيد شرح كتاب التوحيد لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، مكتبة ابن عباس "مصر" ١٤٢٥هـ.
٧- التمهيد لشرح كتاب التوحيد لمعالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ دار التوحيد "مجلد واحد".

(١) حسب الترتيب الهجائي.
(٢) اشتمل هذا الكتاب على مسائل ومباحث قيمة لأعمال القلوب إلا أنه لا يخلو من أخطاء وشطحات للمؤلف غفر الله لنا وله، يجب على القارئ التنبه لها.

٨- حاشية كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ.
٩- جامع العلوم والحكم لابن رجب مجلدان، طبعة دار ابن الجوزي الطبعة الأولى ١٤١٥.
١٠- الداء والدواء، لابن القيم رحمه الله، طبعة دار ابن الجوزي ١٤١٦هـ.
١١- السبك الفريد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين رحمه الله، طبعة مدار الوطن الطبعة الأولى مجلدان ١٤٢٥هـ.
١٢- فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقي، مجلد واحد.
١٣- القول السديد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن السعدي، المجموعة الكاملة.
١٤- القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح العثيمين، طبعة ابن الجوزي ١٤٢٤هـ مجلدان.
١٥- كتاب التوحيد، لابن رجب الحنبلي، دار القاسم، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ.
١٦- كتاب التوحيد، للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.
١٧- كتاب التوحيد للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، مكتب الأثير "الرياض".
١٨- مدارج السالكين لابن القيم، دار الكتاب العربي ١٤١٤هـ ٤ مجلدات.
١٩- معارج القبول، الشيخ حافظ بن احمد الحكمي رحمه الله، طبعة دار ابن القيم، دار ابن حزم ١٤١٥هـ ثلاثة مجلدات.
٢٠- مقاصد المكلفين للدكتور/ عمر سليمان الأشقر، طبعة دار النفائس الطبعة الثانية ١٤١١هـ، الأردن.

٢١- المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة للدكتور إبراهيم بن محمد البريكان رحمه الله، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ دار ابن القيم ودار ابن عفان.
٢٢- الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي، دار الكتب العلمية "ببيروت" ٤ أجزاء في مجلدين.

الفهرس

المقدمة..... ٥
تمهيد: التحذير من الشرك بعامة..... ٨
أنواع الشرك ١٥
أولًا: الشرك الأكبر..... ١٦
ثانيًا: الشرك الأصغر.....١٨
الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر.....٢٢
حكم الشرك الأصغر.....٢٣
متى يكون الشرك الأصغر شركاً أكبر..... ٢٨
أقسام الشرك الأصغر (ظاهر وخفي).....٢٩
أنواع الشرك الظاهر.....٢٩
أولاً: شرك الأقوال والألفاظ:.....٣٠
١ ـ الحلف بغير الله ٣١
حكم الحلف بالنبي.....٣٢
٢ ـ قول ما شاء وشئت، لولا الله وأنت، أرجو الله وأرجوك.....٣٣
٣ ـ قول (لو) (ليت) في بعض الحالات.....٣٤
٤ ـ قول مطرنا بنوء كذا وكذا.....٣٦
٥ ـ الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والنياحة.....٣٨
٦ ـ سب الدهر والريح والشتاء والصيف والزمن والساعات.....٣٩
٧ ـ قول اللهم اغفر لي إن شئت.....٤٠
علاج شرك الأقوال والألفاظ.....٤٢
ثانياً: شرك الأفعال: ٤٣

١ ـ لبس الحلقة والخيط وتعليق التمائم.....٤٣
حكم تعليق التمائم من القرآن والسنة.....٤٦
٢ـ التطير.....٤٨
هل التفاؤل من الطيرة الشركية؟.....٥٠
فائدة: (حديث الشؤم).....٥١
٣ ـ التعلق بالرقي والأدوية وغيرها من الأسباب.....٥٢
شروط الرقية الشرعية.....٥٣
حكم الاسترقاء.....٥٣
علاج شرك الأفعال.....٥٥
القسم الثاني: الشرك الخفي وأنواعه.....٥٨
تعريف الشرك الخفي.....٥٩
١ ـ الرياء والسمعة.....٦١
هل تبطل كل عبادة خالطها الرياء.....٦٨
من صور وأمثلة الرياء والسمعة.....٧١
علاج الرياء والسمعة.....٧٣
مزالق وتنبيهات في هذا العلاج.....٧٨
٢ ـ حب الجاه والشهرة والرياسة.....٨٣
من صور وأمثلة حب الجاه والشهرة والرياسة.....٨٨
علاج حب الجاه والشهرة والرياسة.....٩١
مزالق وتنبيهات في هذا العلاج.....٩٥
٣ ـ العجب والإعجاب.....١٠١
الإعجاب والعشق.....١٠٥
من صور وأمثلة العجب.....١٠٧

علاج العجب.....١٠٨
مزالق وتنبيهات في هذا العلاج.....١١٢
٤ ـ إتباع الهوى.....١١٤
حكم العمل إذا خالطه الهوى.....١٢٣
من صور وأمثلة إتباع الهوى.....١٢٤
علاج إتباع الهوى.....١٢٨
مزالق وتنبيهات في هذا العلاج.....١٣١
٥ ـ إرادة الدنيا بعمل الآخرة.....١٣٣
أنواع إرادة الدنيا بعمل الآخرة.....١٣٥
صور وأمثلة إرادة الدنيا بعمل الآخرة.....١٤١
حكم العبادة إذا أريد بها الدنيا.....١٤٥
علاج إرادة الدنيا بعمل الآخرة.....١٤٨
مزالق وتنبيهات في هذا العلاج.....١٥٢
حكم أخذ الرواتب على الوظائف الدينية.....١٥٤
سبيل الخلاص: الإخلاص والصدق في التوحيد.....١٦١
معنى الإخلاص وحكمه.....١٦٣
هل الإخلاص مستحيل.....١٦٥
تنبيه مهم في الإخلاص.....١٦٦
تنبيه آخر في الإخلاص.....١٦٧
ثمرات التوحيد والإخلاص.....١٦٨
أهم المصادر والمراجع.....١٧١
الفهرس ١٧٤